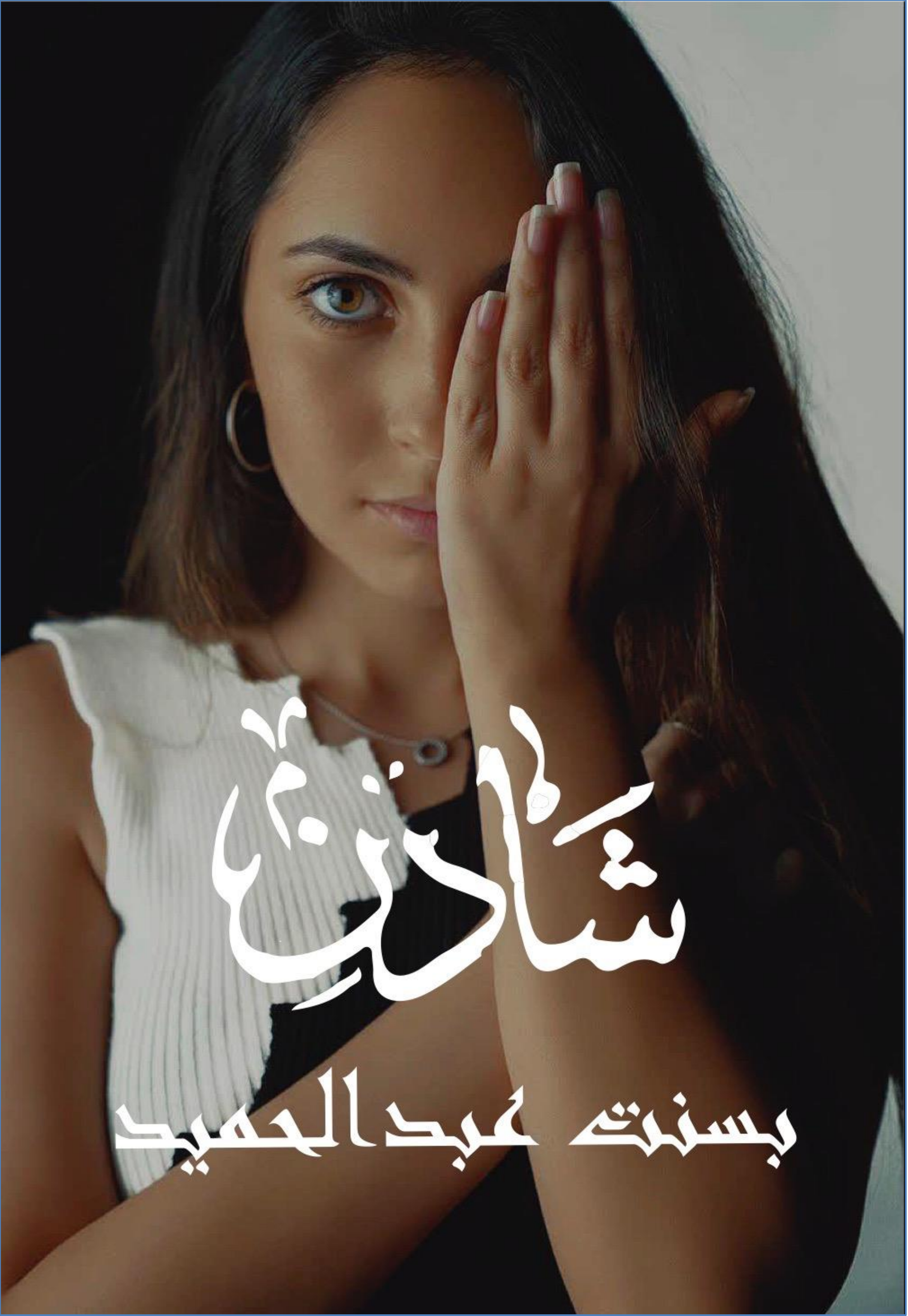
شادن
بسنت عبد الحميد

اسم الكتاب: شادن

الكاتب:بسنت عبد الحميد

رقم الإيداع :2020/91918

الترقيم الدولي:**978-977-85481-7-4**

شادن

رواية

تأليف

بسنت عبد الحميد

مقدمة

بدأت أعتقد أن التجربة الأولي في كل شيء تتشابه لحد كبير، فالحمل الاول، الولادة الأولي، الرواية الأولى!!

هي جميعها أفعال تبدأ ونحن على اعتقاد بأن معلوماتنا عن هذا الفعل ودرجة استيعابنا له حقيقة، إلا أنني أعتقد أننا في أثناء الرحلة الحقيقية – أثناء المرور الفعلي بالتجربة –ندرك، وليس بالضرورة أن نجاهر بإدراكنا هذا!!! ندرك أنناكنا لا نعلم، وأننا لسنا حقيقةكنا ندرك كل هذه الأبعاد. فأنت عندما تحمل بين ذراعيك طفلك الأول، ويبدو لك للوهلة الأولى أنك في هذه اللحظة تدرك تماماً معني الأمومة أو الأبوة، ولكن صدقني سيدي القارئ لن تعلم حقيقة ولن تدرك فعلاً ماهية هذه المشاعر والمعاني لأنك في الحقيقة لم تقم بالتجربة الفعلية بعد. أنت مجرد واهم بالمعرفة وهذا ما حدث لي تحديداً في روايتي الأولي!!!

كنت أعتقد أنني أستطيع كتابتها بكل بساطة، فأنا أمتلك القصة في مخيلتي وذاتي بمختلف أجزائها، وأنا أيضا أتقن اللغة العربية لحد معقول، كما اخترت الاسم مستوحية إياه من هدف الرواية، فاسم البطلة هو اسم عربي، فأنا –على ما يبدو– أعرف أو أستطيع أن أكتب رواية، فأين هي الصعوبة في التجربة؟؟!

إلا إنني ومع الأسطر الأولي في رواتي أدركت يقيناً أن الإنسان إذا لم يقم بالفعل ذاته، وإن لم تمضِ بكل مراحله على أرض الواقع – لا على أرض ادعاء المعرفة، فلا تدّعي المعرفة به، وإنك في الأغلب واهم بالمعرفة، ولكن المؤكد أنك غير مدرك فعلا لأبعاد هذه التجربة.

إن كتابة الرواية هي من أروع التجارب التي مررت بها، ولا أدّعي سهولة التجربة على الإطلاق، بل إنها هي قدرة الكاتب على الخروج من ذاته الواحدة إلى ذوات الآخرين ومشاعرهم واحتياجاتهم، وتوصيف ذواتهم المختلفة تماماً وكلياً عنه، مع الاحتفاظ بهويته

وهويات الآخرين، ودون أن يطغى أحدهم على الآخر في توازن أقرب ما يكون للسليم.

لقد اخترت لبطلة روايتي اسم ابنتي الصغيرة

والأسماء في الروايات – في الأغلب – ما يكون لها دلالات، ويختفي أحد أغراض الرواية أحياناً في معاني أسماء بعض أو كل أفراد الرواية. ولا يوجد أي تشابه بين شخصية البطلة وابنتي اطلاقاً، إلا أن التشابه يكمن بين ابنتي وتجربتي الأولى في كتابة الرواية، فلقد كانت طفلة متعبة جداً في بدايتها، إلا أنها سرعان ما تحولت إلى شابة رائعة، أَحَمَدُ الله كثيراً على أنه رزقني بها ... وكذلك الحال في روايتي.

أتمنى لها ولروايتي النجاح والتوفيق –إن شاء الله.

بطلتي هي توليفة مختلفة، هكذا وصفها – علي حسب كلمته، كل من قابلها أو سنحت له الظروف والأقدار بالتعرف عليها أو الاحتكاك بها، فلقد جمعت بين كل الأضداد، فهي متمردة على الواقع، تُؤمن بِشدة بتدابير الخالق، وأنه هو الوحيد السميع القادر المجيب.

بطلة روايتي، هي روح طفلة صغيرة حتى النخاع، أكثر ما يسعدها هو قطعة من نوع الشكولاتة المفضل لها، في جسد يحوي أنوثة ملحوظة وقلب يملأه الأوجاع.

بطلة روايتي، لها ملامح يكسوها الإشراق والشباب، بعقل كهل عجوز مزدحم بالحكمة والتجارب.

صديقتي هي أبلغ دليل علي أن خير الأمور الوسط، فهي متوسطة الجمال، وهي من فئة متوسطي الدخل، حتى بنيتها الجسمانية.. أزعم أنها متوسطة الطول والامتلاء.

وفي رأيي أن هذه الأمور الوسطية الوحيدة التي تعبر عن هذه السيدة، فما دون ذلك فهو ما يصنف تحت خانة الشديد أو الشديد جداً جداً!!

فهي صبورة جداً، حمولة جداً، مخلصة جداً، مختلفة جداً جداً، قاسية جداً، ذاكرتها فولاذية جداً، تعبيرات وجهها واضحة جداً جداً، وألفاظها محددة لاذعة، تعبر عن المشاعر والمواقف بشكل شديد الدقة والوضوح.

صديقتي يا سيدي، هي ليست صديقة منذ زمن بعيد، ولكنها جارتي منذ أن سكنت أنا هذا الحي الهادئ، في بناية سكنية تُطل على البحر مباشرة، لم نكن نلتقي كثيراً، فلقد كانت تجمعنا الصدفة في أيام ودقائق معدودات – بحكم الجيرة – نتبادل التحيات والابتسامات ولا يخلو الأمر بالطبع من بعض النظرات المتفحصة في كثير من الأحيان –

وهي عادة فطرية موروثة تمارسها حواء على اختلاف أعمارها أو عرقها أو جنسيتها.

لم أكن أعلم عنها شيئاً يُذكر، غير أنني على مدار السنوات العشرين الماضية لاحظت احتفاظها برشاقتها، وأناقتها، وابتسامتها التي كانت ترتديها دائماً أبداً، وهي ابتسامة شيّقة صافية صادقة، مرحبة بالجميع – على اختلاف طوائفهم – نابعة من عينين بنيتين لوزيتين ضيقتين، تشعان سلاماً نفسيًا قلّما تشعر به من مجرد النظر لأحد الغرباء، فهي مبتسمة كما لو أن عيناها البنيتين الصغيرتين هي عنوان السعادة، أو أن الأوجاع لا تعرف لها طريقاً، فلو سمحت لنفسي بإضافة اختلاف جديد يصفها فهي ابتسامتها التي حقاً لم أشعر من قبل بأنني قد قابلت مثلها، هذه الابتسامة الصادرة والمعبرة عن روح متجددة مختلفة.

لا أعرف هل يمكن أن يمر على الإنسان الوقت الذي لسبب أو لآخر أن يشكر الاحزان ؟!؟، أو بالأحرى أن يستنتج حكمة الإله الواحد الأحد في ترتيب الأحداث حتى الموجع منها؟!؟

فلو أن زوجي الحبيب مازال على قيد الحياة، لربما ما كان لهذه الصديقة الصغيرة أن تعترض طريقي أو أن تحتل هذا الحيز في قلبي وعقلي، ولربما كنت أرحل أنا عن الدنيا دون أن أكتشف موهبتي في الكتابة والسرد، فلا أقصص حكايتها أو تسمح لي الظروف باكتشاف هذا المخلوق المختلف بإجماع الآراء.

كثيراً ما قرأت أن النهايات ما هي إلا مجرد بدايات لآفاق ومغامرات جديدة، ورغم كوني لا أنكر استطاعتي قول:" أنني على درجة جيدة جداً من التعليم"، إلا أنني أعترف الآن أنه كثيراً ماكنت أقرأ ما أعتبره سهل الفهم، ولكن تُصر الحياة أن تمارس لعبتها المفضلة في أن تؤكد

لك أن كل ما يبدو لك مألوفاً أو بسيطاً هو الأكثر تعقيداً إثارة للاستغراب والدهشة.

و لكي لا أطيل عليك عزيزي القارئ، هذه هي روايتي الآن بين يديك، كتبت كلماتها بمشاعر أبطالها وما حملوه بداخل أرواحهم من ذكريات نقشت على جدران وجدانهم وأعمارهم.

الخميس الثاني والعشرون من شهر مارس، هو يوم من أيام ربيع ٢٠١٨، و في رحاب مدينة السحر والجمال، في مدينة الإسكندرية، هذه المدينة الساحلية الملقاة على ضفاف البحر بلا اكتراث لأمواجه الصاخبة، حيث الشمس تحاول جاهدة تدفئة برودة الهواء المنعش، والسماء التي تحاول أن تبدو باللون الفيروزي الممزوج بالزرقة الارجوانية على الرغم من محاولات بعض الغيمات الرمادية اللون بالتآمر. وتساقط بعض زخات المطر المبهج الذي يجبرك دون أدني

مقاومة بأن تنظر للسماء مبتسماً، لإنهاء هذا التقلب المثير للسعاه والانتعاش.

ولدت قصتي الجديدة...

توفي زوجي العزيز– رحمه الله وغفر له – في الصباح الباكر لهذا اليوم، بعد زواج دام لما يقرب من نصف قرن من الزمان أو يزيد، وصراع زوجي الحبيب مع المرض اللعين لما يقرب من سبع سنوات عجاف، رحل عن عالمنا بكل هدوء واستسلام بعد أن لفظ أنفاسه الاخيرة، واضعاً رأسه المريضة بين كفّي المرتعش، علم سكان المبنى الذي نسكنه أن الله أراد استرداد وديعته في هذا اليوم تحديداً، وعلمت أنا لاحقاً أن الله –عز وجل– أراد أن يعوضني عن هذه الوديعة بإعطائي ما يتناسب مع وضعي وظروفي الجديدة.

حضر جميع سكان العقار لتقديم واجب العزاء في زوجي الحبيب الراحل –غفر الله له، ولقد جاءت جارتي –المختلفة– متأخرة قليلا.

بدت الساعات وكأنها متوقفة لا تمر، كان يوماً عصيباً ثقيلاً على نفسي وجسدي، وأخيراً وبعد يوم طويل حان آذان العشاء، قارب العزاء على الانتهاء، وعندها بدأ الجميع رويداً رويداً بالرحيل، بدأ فكري في الشرود في واقعي الجديد، وبدأ التعب والإنهاك يزحف في اتجاه قلبي، إلا أنني لاحظت أن جارتي المتأخرة الصغيرة ظلت جالسة لوقت أطول، ولا يبدو عليها الرغبة في توديعي أو الرحيل، وقد ساد الصمت بيننا للحظات قليلة وبدت على ملامحها الصغيرة أنها تريد البوح بشيء لا أعلم بالطبع ما هو!؟ ولا يمكنني حتى تخمينه!!

فأنا لم أستوعب قط حتى هذه اللحظة، وبعد معايشتي لهذا اليوم العصيب، أنني أصبحت وحيدة بلا زوج أحكي له عن موقف جارتنا الصغيرة الغريب أو حتى زيارتها لنا!!!

فأنا متزوجة منذ ما يقرب من عمر هذه الجارة، ولا أذكر كيف كنت قبل هذا الزواج. فلم أجرب حياة الوحدة من دون رفيق الدرب الذي نسيت معه وبسببه كيف كنت قبل أن أعرفه أو أحيا معه!!؟

لكنني لم أستطع أن أمنع نفسي من ملاحظة ملامح وجهها ونظراتها التي تنطق كلاماً ، وتتحدث بلغة لا أفهمها من موقعي هذا، ولكن من معرفتي الضئيلة بهذه الجارة أعلم جيداً أن هناك خطب ما.

ثم هداني عقلي الشارد المنهك القوي،أنه لربما تريد هذه الصغيرة الوديعة أن تقضي معي الليلة،ولقد تأثرت كثيراً بفكرتي التي دارت في رأسي المتعب،وامتننت كثيراً لشعورها العميق بالتعاطف معي، والمسؤولية تجاهي مع أن ما يجمعنا هو الجيرة فقط لا غير، ولقد عقدت العزم علي أن أقطع هذه الدقائق الطوال الصامتة، و ان أطمئنها أنني على قدر من القوة الداخلية والإيمان اللذين يساعداني على تقبل الأمر والتعامل مع الحدث، فعلي الرغم من أن زواجي دام كل هذه

السنوات الطوال السعيدة والمستقرة إلا أنه لم ينتج عنه أطفال، وهو ما جعلني أعتاد أن أقضي بعض الأيام وحدي تماماً في سكون الصمت، عندما كان زوجي الحبيب يُضطر للسفر خارج الإسكندرية لبعض الوقت لدواعي العمل أو غيرها!!

وقبل أن أتفوه بحرف واحد مما كان يدور بخاطري، بادرتني جارتي المختلفة الرقيقة،

وقالت بصوت ثابت ودود: "أنا اسمي شادن"، جارة حضرتك والدة على وسلمي، أنا بشوف حضرتك من زمان، وكل مره بيكون نفسي أكلمك أو أتعرف عليكِ، بحس لما بشوفك إني عارفاكِ، وبيكون نفسي أحكيلكِ، أنت الوحيدة اللي هتعرفي تساعديني ... أنت أكتر حد هيفهمني ... أنتِ الوحيدة اللي بتعرفي ... أنا متأكدة".

لم أتوقع هذا أبداً!! من؟! انا؟!! أساعد!! فيم تكون مساعدتي؟! الآن؟! في موقفي هذا؟!! أنا لا أعلم حقيقة إن كنت أستطيع البقاء

أو الصمود لنهاية الأسبوع وحيدة في هذه الدنيا؟؟ لم آكل شيئاً منذ البارحة، ولا أعرف إذا كنت قد غفوت، أو أن عقلي مستيقظ في جسد أنهكته إجراءات الجنازة والعزاء؟! ولماذا أنا؟ ماذا سأفهم؟ وما قيمة فهمي؟

وما هي إلا لحظات سريعة مرت بداخل عقلي المشتت حتي تذكرت كتاباً كنت قد قرأته يوماً ما، بعنوان" التواصل غير العنيف"، ويؤكد هذا الكتاب علي أهمية التعاطف مع المتحدث والاستماع الجيد له وللرسائل التي يحاول إيصالها لنا، وإنه يتوجب علينا أن نحاول جاهدين بالإصغاء والانتباه لما يقول المتحدث، لأن المتكلم في هذا الوقت لا يحتاج لأي مقاطعه على هيئة أسئلة أو استفسارات لن تفيدة في هذا الوقت، بل علي العكس تماماً، هو في الحقيقة لا يبحث إلا عن من يسمعه ويبدي له اهتماماً وتعاطفاً مع مشاعره، أو ما يود أن يقول. ولذلك فضلت أن أستفيد مرة أخري من قراءتي وأن أصمت المزيد من الوقت حتى أُفسح لها المجال لتفرغ ما في جعبتها وتكمل رسالتها

التي ضاق بها صدرها، فهي لا تريد– على حد علمي حتى هذه اللحظة– المساعدة بالمعنى الحرفي للكلمة وإنما هي فقط بحاجه لمن تستطيع الوثوق به ويستمع لها دون تساؤلات أو نصائح.

بل الكثير والكثير من التعاطف.

ولكنها فاجأتني للمرة الثانية على التوالي وقطعت حديثي المسجون في نفسي.

قائلة بصوت جاد يملؤه الرجاء: "ها، هل وافقتي سيدتي على مساعدتي؟؟؟ أرجو أن تسمعيني أولاً ثم اتخذي قرارك بعدها، وأعدك أن أقبل به مهما كان، ودون أي مناقشة أو محاولة لتغير رأيك، والله على ما اقول شهيد ..... "

ولن اكذب عليك سيدي، فللحظات أحسست أن حزني الثقيل سقط في مثلث برمودا، ولسبب ما اختفت في ظروف غريبة مشاعر الحزن

الغائر في صدري، ولم يعد رادار قلبي لدقائق تبدو طويلة نوعا ما من التقاط هذا النوعِ من البث الكئيب!!! ولثوان معدودات وجدتني بدون أن أدرك، أشعر أنني أستطيع أن أنفذ هذه المهمة التي لا أعلم ماهيتها حتى الآن؟! ولا أعرف حق المعرفة ما هي قدراتي التي تراها هذه المختلفة الصغيرة، والتي سأستخدمها لتقديم المساعدة المنتظرة، ولكن طغت عليَّ بشريتي والرغبة في استمرار حياتي بنوعٍ جديد من التجارب واكتشاف المزيد من غرائب الدنيا، لقد سرت في جسدي مشاعر الحياة تزيح بكل قوة مشاعر الفقد أو الحزن والخوف من قسوة المجهول، لقد كان لكلماتها القوة والتأثير البالغ في نفسي، حتى أنني أحسست أنني أشرعِ في القيام برحلة حول العالم أو أنني أبصر بعد أن كنت تعودت على أن احيا كفيفة.

نعم ، أنا مازلت حية !! مازلت أبحث عن الإثارة، وأكثر ما يمتعني هو ركوب الأمواج، مازلت قادرة على التفاعل والمساعدة، مازلت

شابة قوية، أكره الروتين أستطيع أن أؤدي دوراً ملحوظاً في هذه الحياة المزدحمة بالمشكلات، والمكتظة بمعاناة البشر ممن يحتاجون المساعدة.

دعني سيدي أحكي لك ملخصا سريعاً عني، ولن يأخذ هذا من وقتك الكثير فلا تحتوي قصتي على الكثير من المفاجآت أو المنعطفات التاريخية حتى قابلت هذه الجارة المختلفة، القادمة من المجهول.

توفي والدي وأنا مازلت طفلة صغيرة، ولقد تحايلت والدتي على الواقع القاسي، ونزحت بنا إلى الحضر بعد وفاة زوجها – أبي– هرباً من تنفيذ التقاليد المتبعة في ذلك الوقت، فسوف يتم تزويجها بعمي – حفاظا على الارض في داخل الأسرة –، ونتج عن ذلك الانتقال أن تزوجت والدتي من موظف بسيط في المدينة التي انتقلنا إليها، كان رجلاً بسيطاً حنوناً حتى أن أختي الصغيرة كانت تدعوه "بابا" فهي لم تعرف غيره أباً لها، لم نكن فقراء ولكننا كنا مستورين. استمرت حياتي بلا أحداث تذكر، إلا أنه عندما نضج قلبي، وعرف وظيفته التي خلق من أجلها،

لم يلبث وقتاً طويلاً حتى بدأ في ممارسة مهام عمله، و وقعت أنا وقلبي وعقلي في غرام ابن خالتي، والذي كان مقارنة بنا في هذا الوقت من أغنياء المدينة الصغيرة التي نحيا بها، ولأنني على يقين دائم بان الله – سبحانه وتعالى– يقوم دائماً بإرسال التعويض المناسب لبني البشر في الوقت المناسب، والشكل المناسب، فلقد بعث لي الله هذا الحب الجم ليعوضني عما افتقدت من حنان الأب، ولقد أنعم الله عليَّ بهذا الحب، فلقد أحبني ابن خالتي حباً نتابعه ونقرأ عنه في الروايات والقصص.

حتى حان موعد الاعتراف والمجاهرة بهذا الحب، وإتمامه بالرغبة في الزواج مني، والذي قوبل من جانب والدة زوجي – خالتي – بالرفض، فأنا لست على حد تعبيرها بالقدر الكافي من الجمال أو المال، إلا أن زوجي الحبيب أصر على الزواج بي ولقد انتقلنا من المدينة التي كنا نسكن فيها إلى اخرى جديدة (الإسكندرية)، لنبدأ معاً دون أن نحمل أوزار الماضي.

بعد عدد ليس بالقليل من السنوات، والعديد والعديد من المحاولات المكلفة مادياً، والمرهقة نفسياً وجسدياً، تأكد لنا – أنا وزوجي الحبيب– أنه ليس باستطاعتنا الحصول على أطفال وأن الله قد قدّر رزقنا في نواحي أخرى، فامتثلنا لإرادة الخالق فالخيرة دائماً هي في ما اختاره الله.

أنا و زوجي الحبيب كنا موظفين، تخضع أيام عمرنا للروتين فيما يخص أوقات الاستيقاظ والوجبات، والإجازات السنوية وخلافه، لا أعتقد أني شعرت يوماً بالملل أو التمرد، فلقد كان زوجي حريص علي إغراقي بالحب والعطف والكتب، نعم سيدي الكتب، وكل ما هو قابل للقراءة في جميع المجالات، عودني زوجي، و صديقي، ورفيق دربي، وابن خالتي، وحبيب أيامى، ولم يتوقف يوماً واحداً عن تشجيعي لتعلم كل شيء وأي شيء.

كان دائماً ما يناقشني فيما قرأت ويستمع لرأيي وكأن على رأسه الطير، ثم يعطيني رأيه هو الشخصي، ومع مرور الأعوام اكتشفت أنني بلا أصدقاء، وبسبب قراءتي المستمرة في جميع نواحي الحياة، بدأ تفكيري يتشكل ويختلف تماما وكليا عمن هم في مثل عمري وبيئتي المحيطة، ووجدت نفسي لا أقبل على أحاديث الزملاء أو الأقارب فهي لم تعد تستهويني. مما نتج عنه أنني فضّلت صداقة كتبي، وزوجي، واكتفيت بهم شركاء في مشوار الحياة.

هذه هي قصتي باختصار والتي بدأت واستمرت على هذا النحو، إلى أن جاء اليوم الذي زلزلت فيه الأرض ومن عليها، ووجدت نفسي على جزيرة نائيه، سكانها هم أنا، وجارتي وقصتها المختلفة وما أحمله بداخلي من قراءتي وخبراتي ومشاعري.

وعلى هذه الجزيرة شعرت لسبب ما أني فضائية من كوكب بعيد، فأنا على هذه الجزيرة اشعر بأمومة طاغية بلا سيطرة تجاه هذه الجارة

المختلفة الصغيرة، ولطالما احتضنت هذه الصغيرة عندما كانت تغالبها دمعاتها الغزيرات، الدافئات، وهي تحكي لي عن ما مرت به من مواقف، وأحداث، ومشاعر، في رحلاتها عبر الايام، وانا أيضاً كاتبة مخضرمة تتدافع الكلمات والعبارات والتركيبات اللغوية في كل نبضه من نبضاتي وكأنني أحترف الكتابة منذ بدأ الخليقة!!!.

لكنني و في الحقيقة لم أتزحزح إنشاً واحداً عن كرسِيّ المفضل في غرفة المعيشة البسيطة في بيتي الصغير، إلا في بعض المرات التي أقوم فيها باحتضان الصغيرة حتي تهدأ و تتمالك نفسها، وتستطيع إكمال ما كانت تقول.

وهكذا بدأت أولى خطوات دخولي إلى عالم المغامرة الجديدة.

***

اعتدلت صغيرتي في مجلسها أمامي، محاولة أن تستند بظهرها على الأريكة الجلدية الكبيرة المواجه للكرسي الأزرق الفاتح المفضل لديَّ،

وأصبحت قدميها الصغيرتين بالكاد تلامسان السجادة الحمراء الكبيرة التي تغطي الأرضية بالكامل تقريبا، وتنعكس الإضاءة الجانبية الصادرة من المصباح الذهبي على ملامح وجهها البريء، فيرسم حدود خطوط شعرها البني الغزير عند التقائه ببداية جبهتها البيضاء الناعمة. فصغيرتي المختلفة هي أنثى بيضاء البشرة، حريرية الملمس، صغيرة الجبهة ذات ملامح هادئة، وشعر بني طويل قليل التجعيد يصل إلى ما يقرب من نهاية عمودها الفقري، كانت ترتدي فستاناً أسود بسيطاً جداً في موديله، يغطي جزء كبيراً من ساقيها الناعمتين الجميلتين، مما زادها جمالًا وانوثة وعذوبة، وهو ما جعل بشرتها أن تبدو أكثر بياضاً وإشراقاً.

قالت صديقتي الصغيرة بصوت خفيض: " لقد تزوجت قبل أن أبلغ سن الرشد، ولم يكن هذا هو السائد في هذه الحقبة الزمنية، كما لم يكن مستبعداً أيضاً، خاصة في هذه المدينة الصغيرة التي مكثت فيها بضع سنوات من حياتي، وهي مسقط رأس أمي وأبي، ولكني أؤمن

بشدة أن ما يحدث لنا دائماً هو ترتيب كوني بديع، لا ندركه أثناء سير الأحداث لأن ذلك سيفسد علينا الحبكة الدرامية في قصصنا التي نكتبها بأيدينا وتصرفاتنا واختياراتنا وردود أفعالنا تجاه الأشخاص والأفعال، كما أنه إن أدركنا كل شيء في الحاضر الذي نعيشه فلوسف يزول جمال الشعور بالإثارة في المفاجآت، ولقد كنت و مازلت ممن يعشقون المفاجآت !!!.

لطالما كنت طفله ضئيلة الحجم جداً ، مفعمة بالنشاط ، كثيرة الحركة، ولكن بصمت شديد وبلا ضوضاء تذكر، فقد كنت بارعة في توجيه طاقتي إلى أحلام يقظة، أو شقلبات متكررة في الهواء في المساحة الفاصلة بين الأريكة الخضراء الكبيرة والطاولة التي تحتل المنتصف في غرفة معيشتنا.

لقد كانت طفولتي وذكرياتي الجميلة كلها في دولة عربية شقيقة،سافر لها والداي للعمل بها، لتوفير حياه كريمة لنا، كما كان يفعل معظم

سعداء الحظ في هذا الزمن، فلا يذهب إلي هذه الدول أو يعمل بها إلا من هم على قدر جيد من المعرفة والإتقان في مجال وظيفته، ولقد امتد هذا الحظ الجيد ايضاً الى خالتي وزوجها وأطفالهم الثلاثة، بل هم كانوا من وجهة نظر جدتي أكثر حظاً، حيث كانا ينعمان بدخل أكبر مما كان يحصل عليه والداي، مما نتج عنه أن قضيت معظم ساعات طفولتي أتابع اجتماعات ثلاثية بين والدتي وخالتي وعلى رأس الاجتماع دائماً جدتي، ويكون موضوع الجلسة هو واحد بلا تغير يذكر، إلا من بعض التفاصيل المضافة من ذاكرة إحداهن، ولكن يبقى الموضوع الرئيسي هو الشكوى من أبي وتصرفاته غير المسؤولة، وأهله الذين يتابعون و يهتمون كثيراً بتفاصيل حياتنا الشخصية، في بعض الأحيان أكثر مما نتابعها نحن أو نهتم بمثل هذه التفاصيل.

ولقد نشأت أرفض هذا المشهد المسرحي ثلاثي الأبعاد، الذي تقوم فيه أمي بتمثيل دور الضحية على طول الخط، وتقوم فيه خالتي وجدتي

بدور الجمهور، للتصفيق لأمي عن دورها أحياناً، ودور النقاد لأبي عن أداءه السيء أحياناً أخرى.

إلا أن رفضي هذا وشعوري بالاستنكار والاستنفار الشديدين كان رفضاً مرتبط بفطرتي كطفله، ترفض بشدة فكرة أن يُهاجَم أبوها لأي سبب من الأسباب خاصة في عدم حضوره، إلا أن أمي ساعدتني كثيرا لتعميق هذا الرفض وتوثيقه لحظة بلحظة، فلم تكتفِ أمي أن تعبر عن شعورها بالمعاناة في حياتها الزوجية بالشكوى الشفهية فقط، ولكنها آثرت أن تترك في ذاكرتنا نحن الثلاث عميق الأثر والذي يذكرنا بهذه المعاناة دائماً. فلم تتوقف أمي أبداً عن توجيه الإهانات اللفظية، واللكمات القوية لنا في كل موقف وعلى أتفه الأسباب.

عشت عشرين عاما من العنف المنزلي المتنوع المستمر، ما بين الصوت العالي، والتذمر الدائمين اللذين ينتهيان دائما بضحية منا تنهي هذا

الهياج المستمر بتحملها للكمه أو سيل عارم من الألفاظ المهينة وفي الأغلب كلاهما.

فلقد حولت أمي منزلنا إلى ساحة حرب تستمر بها المعارك في ساعات اليوم إلا أن يحين موعد النوم وننعم بالسكون .

ولأننا كبشر لا ندرك المعطيات المحيطة بنا تمام الإحاطة ، ولا ندرك مدى تأثير هذه المعطيات في تكوين مشاعرنا ، وشخصياتنا ، وفي مفرداتنا اللغوية ومفهومنا عن أنفسنا وعن الآخرين ففي عصري كنا نقضي سنوات عمرنا العشرين الأولى كالمنومين مغناطيسياً !! نتبع القافلة فلا قدرة لنا على المقاومة ، ولا يسمح لنا حتى بحق العواء.

لكنني لم استطيع تجاهل شعوري الداخلي العميق للرفض المستمر لكل ما يحدث حولي ، تمردت ما بيني وبين نفسي علي كل ما يخص عالمي إلا أبي – الذي لطالما دافعت عنه بصمتي ورفضي في الاشتراك في المسرحيات المقامة علي شرفه، بتعليق أو حتي بنظرة توحي بالموافقة

علي هذه المهزلة القائمة، وهو ما كان يجعل أمي أشد غضباً واستياءً مني وهو ما يترجم لعنف مضاعف.

ولقد لجأت إلى أن أصنع عالمي الخاص بي هرباً من الواقع المفروض عليَّ ، والمجبرة أنا على معايشته ، وهو ما ترجمته إلى خطة موضوعة، تتكون من خطوات وأهداف،كان حلمي الكبير بعد ان أنهي دراستي أن أهاجر للولايات المتحدة الأمريكية لأفتتح مشروعي الصغير الخاص بي وتبني العديد من الأطفال– قدر استطاعتي– ولقد اخترت هذا البلد تحديداً لأنه لا يحرم تبني الأطفال،فبسبب تجربتي كنت قد عقدت العزم بداخلي علي أن لا أتزوج أبداً ما حييت، فلا أريد أن أعيد هذا السيناريو المحزن،مهما كانت الأسباب إلا أنني أعشق الأطفال،مع أني كنت مازلت طفلة في هذه الفترة إلا أنني كنت دائماً وأبداً أستطيع أن أحدد ما أحب وما أكره بشكل دقيق، على عكس من كانوا في مثل سني وظروفي.

ومازلت أعتقد أن هذه القدرة على تحديد وتصنيف المشاعر بشكل عميق دقيق محدد تجاه البشر والمواقف هي نعمة، أو سمها موهبة أعتقد أنني أمتلكها في قطع الـ DNA المكونة لشخصيتي.

ولقد ظهرت عليَّ أعراض التخطيط لمستقبلي بكل طريقه تبعدني عن هذا العالم المليء بالأصوات العالية، والصراعات منذ طفولتي المبكرة، فلقد عشقت الباليه وأنا صغيره جداً، وأذكر جيداً ذلك اليوم الذي توجهت فيه إلي والدتي وهي مستلقية في غرفتها علي سريرها تأخذ قسطاً من الراحة أثناء الظهيرة ،أحكي لها عن رغبتي الكبيرة كطفلة صغيرة بأن ألتحق بأحد المدارس التي تعلم هذا اللطف والجمال، الكامنين في هؤلاء الراقصين بموسيقاهم وملابسهم الرقيقة، ومدي تأثير ذلك عليَّ،إلا أنها أخبرتني أنه لا يتوافر مثل هذا النوع من المدارس في البلد العربي الذي نقيم به، وأن السبيل الوحيد لالتحاقي بمثل هذا النوع من المدارس يوجب علينا كأسرة أن ننتقل للقاهرة لتحقيق حلمي، وعلي الرغم من أن إجابتها كانت تحتوي علي الكثير

من المعوقات والتضحيات من جانب الأسرة، وهو بالضبط ما يليق بوالدتي، فنحن دائماً نبحث عن المضحي أو العقبات، إلا أنني وبفطرتي، أو سمّها هبة أخري أعتقد أن الله أنعم عليَّ بها – وهي إيجاد الحلول ومحاولة التغلب علي ما يبدو أنها عقبات أو تحديات فاقترحت أنا أن أنتقل أنا فقط للقاهرة والالتحاق بالمدرسة الداخلي، علي أن تقوم أسرتي بزيارتي في الإجازة الصيفة، كما هو متبع عند قاطني الدول العربية أو ما يسمي بالمغتربين، ولا توجد أي مفاجآت هنا، فلقد رفضت فكرتي بكل تجاهل وعدم اكتراث، بل إنها حتي لم تبدِ أيِ اندهاش بالتعبير عن رغبتي في الانفصال عن الأسرة، رغم أنني كنت لا أزال صغيرة السن جداً في هذا الوقت، ولم تفكر لبرهة من الوقت في أن تناقشني في أسباب شغفي أو تعلقي بهذا النوع من الفن الرقيق، بل علي العكس، كان تعليقها اللامبالي هو أن الباليه يعجب الجميع وإنها أمنية جماهيرية أن نصبح جميعاً "باليرنات "ولكن لم يحقق أحد أمنيته، و علي ضوء هذا المشهد الدرامي الحزين عقدت العزم على

أن أؤجل مشاريعي ومخططاتي إلى ما بعد سن الرشد، أو ما كنت أعتقد أنها سنة إطلاق صراحي الغير مشروط .

مرت الأيام والسنوات بلا أحداث مهمه أو مفاجآت ، فأنا وأخواتي نذهب في الصباح للمدرسة و من ثَم للمنزل ولا نغادره مره أخري إلا في الصباح التالي، ونقضي ساعات اليوم ما بين المذاكرة أو صراخ أمي ودعائها علينا ومقارنتها بابنة خالتي التي تتفوق علينا في كل شيءو أي شيء،فنحن السوء والفشل المجسد في ثلاث فتيات،كانت الأيام خالية إلا من بعض الأمسيات التي كان أبي يطلب مني فيها إن كنت قد أنهيت دروسي وواجباتي المدرسية أن أذهب معه الى غرفة المعيشة،لكي نشاهد معاً الفيلم الأجنبي الذي يعرض على شاشة التلفاز، وكنت أذهب وأنا في قمة سعادتي.

فأنا أحب الأفلام الأجنبية جداً، فهي تخرجني من عالمي الجاف إلى عالم آخر مليء بالألوان والموسيقى أحياناً، ولكن الأهم هو أن هذه

الأفلام كانت تغرقني في عالم ملئ بالمشاعر الغزيرة الرقيقة الواضحة البسيطة العذبة والصادقة جداً، فتغلفني بغطاء واقي ضد هجمات الواقع المؤذي، ولقد كان أبي الحبيب يحرص دائماً أن يعطيني ملخصاً سريعاً قبل البدء عن أبطال الفيلم، كأسمائهم أو سابقة أعمالهم ويضيف رأيه الشخصي عن الممثل، ولكنه بعد أن أنتهي من المشاهدة دائماً ما كان يترك لي حرية التعبير عن رأي في قصة الفيلم، ولا يتدخل أبداً بأي تعليق حتى أنتهي من وصف شعوري وكيف أثرت في القصة والأحداث، وكثيراً ما كنت ألحظ عليه ابتسامة تلوح في عينيه يحاول إخفائها كنت أعلم معناها،وفي عميق نفسي كنت أنتظر هذه الابتسامة دائماً فهي أكثر ما يسعدني في التجربة بالكامل.

لقد كان يحكي لي والدي عن قراءاته وهو مازال شاباً صغيراً، وكيف كانت تؤثر فيه الروايات ومعاناة أبطالها عظيم الأثر، وأنني أذكّره كثيراً ببطلة إحدى هذه الروايات تسمي (سيّيرا الصغيرة)، وكثيراً ما كان

يغني لي: "صغيرتي من تكون؟ الرفاق حائرون يتساءلون من تكون حبيبتي؟ صغيرتي ؟!".

مرت سنوات الطفولة والمراهقة كلمح البصر، وآن الأوان لأن نعود الآن من سنوات غربتنا، التي دامت ما يزيد عن الستة عشر عاما، إلى أرض الوطن، نترك أصدقاء طفولتنا، مدرستي التي أحب، سأُنتزع من مدينتي الجميلة النظيفة التي حوت ذكرياتي وبراءة طفولتي ومراهقتي التي لم أستطع أن أمارسها، أختفي وبلا عوده، من شوارع اعتدت الذهاب والإياب بها منذ أن خُلقت على هذه الأرض وحتى يومي هذا ولا أعلم غيرها، هل هذه هي الغربة؟ فما هو إذاً تعريف الوطن؟!! لكن أين المفر؟؟ هل هذا ما قدِّر لنا؟ أن نظل دائما غرباء؟ هل سيأتي اليوم الذي أملك فيه الاختيار؟؟؟؟؟

مِصر التي لا أعرفها، والتي لم تكن يوماً بخاطري!! فلقد كانت علاقتي بها مقتصرة على الإجازات الصيفية فقط، مما يعني الكثير من الزيارات

العائلية، والكثير من الشواطئ والفنادق والمطاعم وما غير ذلك من مظاهر الإجازات الصيفية السنوية، ولا أعلم هل هو شعور قاصر عليَّ أنا فقط؟ أم هو شعور ينتاب كل المغتربين؟ لكنهم لا يملكون الجرأة على الاعتراف به؟ لربما حفاظاً على مشاعر الأهل من غير المغتربين!! كنت على الرغم من كل الشواطئ والزيارات العائلية والترحاب كنت أفتقد بيتي وسريري وأصدقائي وأحن للعودة، لا أعلم إن صح التعبير إلى (موطني)؟!

ها أنا ذا أترك الموطن لأعود للوطن، و بالقوة الجبرية أبدأ من جديد فعليَّ أن أكوِّن الصداقات وأحفظ الشوارع وأنشئ الروابط من حيث العدم، يا إلهي هل من نهاية لهذا الدرب؟

تمر الأيام ويتقدم لخطبتي شخص مهذب، مناسب، هو صديق لزوج أختي الكبرى، تباركه الأسرة وتتم إجراءات الزواج ....

لقد تزوجت يا سيدتي بمن ظننت أنني أحببت، وأنا الآن أقول ظننت فلم أعرف الحب حتى بلغت الثلاثين من عمري، مع أني تزوجت قبل أن أبلغ العشرين.

نخلق يا سيدتي وتسير بنا حلقات الحياة في تسلسل وترتيب كوني لا يمكن تعديله أو الاعتراض عليه، ونحن لا نعي هذه الحقيقة الوجودية إلا بعد أن يمضي من العمر الكثير، يجهز الكون الطريق ونمضي نحن فيه وتمهد كل نفس بأفعالها إلى مصيرها النهائي.

لقد كان زوجي هو الزوج المثالي من حيث الشكل والمكونات وهي حقيقة مؤكدة بإجماع الآراء، فلقد كان وسيماً جداً، ذو قامة طويلة وجسد رياضي ملحوظ، ذو عينين خضراوتين شديدتي الخضرة واللمعان، كما أنه مهندس، ومن أسره ميسورة نوعاً ما، يتراوح أفرادها بين الأطباء والمهندسين، لقد كان طيب القلب وديع الملامح خفيف

الظل عذب الصوت، ولكن هل كان هذا المثالي هو المناسب لي؟ هل ما هو مثالي من وجهة نظر الآخرين هو مثالي للبعض الآخر؟؟؟ وهل يجوز أن تعتبر أحكام الآخرين هي قوانين ملزمة، يعد الاعتراض عليها ضرباً من الجهل أو التمرد والسفه وأحياناً الجنون؟؟

ومن هم سيدتي الآخرون؟ فلم يتزوج زوجي أحداً غيري، فكيف يحكمون؟! فلم يفض بمشاعره وجسده غيري، ولم يخض غيري هذه التجربة شديدة الخصوصية والصعوبة والتعقيد، فكيف يتجرأ أو يتخيل الآخرين أن يكون لهم رأي؟؟؟!!!

ولكي أوضح لك سيدتي جانبًا من جوانب قصتي دعيني أحكي لك قليلاً عني أنا و زوجي.

لم يكن يستطيع أن يمنع نفسه جميع من تعامل مع زوجي أو قابلة من أن يلقي عليّ نظرة متفحصة، مفادها "لماذا هذه الزوجة؟؟؟ "فأنا لست شقراء، أو زرقاء العينين، ولا أحمل من مواصفات الجمال

المؤرخة في موسعة صفات الجميلات إلا عقلاً راجحاً ورأياً سديداً وقوة شخصية، وألفاظاً محددة صريحه، وهذه المواصفات لم ترد في كتيبات المجتمع أو موسعة الجميلات، كما أنه من شبه المستحيل أن تدرج هذه الصفات تحت مسمي الجمال أو التميز لدي المرأة، فمن يضع تعريف الجمال ومكوناته في مجتمعنا هم الرجال من ذوي العقول الفقيرة المحدودة، أو النساء ذوات النظرة القاصرة والإمكانيات الشكلية فقط دون غيرها، والإعلام الموجه بالطبع.

ولكنني كنت أتألم من هذه النظرة جداً، فأنا أعلم جيداً أنه بعد وقت ليس بطويل سوف يبدأ السيناريو المعتاد، ويدرك الجميع أن زوجي هو طفل كبير، لا يملك وجهة نظر محددة تجاه أي موضوع، وهو متردد إلى أبعد الحدود، كما أنه لا يتحمل حتى مسؤولية اختيار طعامه لنفسه، ناهيك أنه لا يمكن أن يقود حتى الاحاديث، فيبدأ الجميع إدراك الهوة العميقة بيننا ويترجم الرجال هذا الاختلاف لاستغلاله في التقرب مني،مستترين بمواقعهم كأصدقاء للأسرة وهم يعلمون علم

اليقين أن زوجي لن يلاحظ، ومن لا يلاحظ لا يعترض! فهو دائماً بجانبي كالطفل الصغير الذي يعلم تمام العلم أن أمه هي من تقوم برعايته، ولم يخطر في باله يوما أن أمه هي في الأساس امرأة وهي في أشد الحاجة للرعاية الدائمة ضد دناءة هجمات الأوغاد.

ولم تكن هذه هي المشكلة الوحيدة، لقد كان زوجي واسع العينين بهي الطلة، طفلاً وحيداً لوالديه على أربع من الفتيات، وهو ما كان يعني أنني جاسوس دسيس على هذه الأسرة السعيدة، فلا يحق لي أن أعرف أي معلومات تهدد الأمن العام، فيما يخص موارد الأسرة أو أي متعلقات مادية أخرى، ناهيك على أن زيارات والدة زوجي التي كانت تصمم للمكوث في بيتنا، لا رغبة في قضاء الوقت معنا معاذ الله، وإنما صممت خاصة لاكتشاف كواليس علاقتي بزوجي على جميع الأصعدة وعلى كافة المستويات!!! وهو ما ينتهي دائماً بشكوي مستمرة مني علي مواقف لم تحدث إلا في مخيلاتها، أو فخاخ معدة بإحكام، والأهم من ذلك بالنسبة لي، علي ذهول عميق، ممزوج بخيبة

أمل لا حدود لها من زوجي، الذي كنت أعتقد أن شهادته كمهندس أو معرفته بي كزوجة ستجعله يتخذ موقفاً تجاه هذا العبث حتى لو كان هذا الموقف هو سر صغير خفي بيني وبينه فقط – لأجل جبرخاطري– دون أن يصرح به أو يواجه به والدته!!، ولكنني كنت أفاجأ بعد مرور الزمن أن كلمات والدته كانت كطلقات قناص محترف، تصيب القلب والعقل في آن واحد دون أي خطأ، فتموت الروابط بيني وبين زوجي علي أثر نزيف داخلي حاد لم ندركه إلا بعد أن فات الأوان.

لقد كنت يا سيدتي كما لاحظتي معدومة الخبرة قليلة التجربة، فلم يكن عندي ملكة الترجمة للمشاعر، أو لعيوب البشر في شكل تعريفات محددة، ولكن كنت دائما أشعر بأني وحيدة تائهة لا رغبة لي في النقاش أو الاشتراك في الأحاديث،ولا يضحكني ما يضحك الجميع!!!

ولقد شكوت لأبي و أمي ذات مرة بأنني أكره تدخل والدة زوجي المستمر في حياتنا، والأدهى هو عدم اعتراض زوجي، بالعكس وأنني بدأت أشعر أنه قد تم عقد قراني على هذه المرأة وليس على ولدها ولقد كانت هي المرة الأولى والأخيرة التي أعبر فيها عن شيء يسري بداخلي، فلقد هاجمني والداي واتهموني بالبطر (البطران يشوف قطران) هذا ما قالته والدتي بالحرف الواحد، ولقد سري الرعب في نفسيي وتوجست خيفة من أن تتحول أيامي إلى عذاب لا ينتهي، فأنا السيئة التي لا تحمد الرب على عطاياه.

إلا أنني وبعد سنوات كثر أدركت أنه ليس للجميع نفس القدرات، وأننا نختلف جوهرياً كلياً وجزئياً عن بعضنا البعض، وأن هذه هي سنة الإله في خلقه، و أننا كبشر وجب علينا أن تقبل اختلاف الآخر، ونحاول قدر استطاعتنا أن نعمل علي تحسين فن التواصل بيننا علي أساس استيعاب الآخر دون فرض وجهات نظرنا على شخصه، أو مشاعره وتصرفاته باعتبارها ثوابت أو مسلمات.

ولكن لكل أجل كتاب، فلقد كان مقدرا لي أن أخوض هذه التجربة بكل حذافيرها، فلا يمكن تأجيل أو تعجيل توقيتها الزمني أو مجريات الأحداث.

فلو ما مررت بهذه المواقف والمنعطفات، وما حملته من مشاعر في طياتي تجاه المواقف والأشخاص، لما كنت أنا (أنا) ولما صرت ما أنا عليه الآن.

وليس من الضروري أن أوجه نظرك سيدتي إلى ماهية العلاقة الخاصة بيني وبين زوجي، فيعلم الله انني لم اشعر يوماً أنني امرأة تمتع رجلاً، أو أن ما حدث بيننا يمت لا من قريب ولا من بعيد إلى المودة أو الارتباط، ناهيك عن المتعة والنشوة.

ولكن ما أريد أن أؤكد عليه هو أن هذا الذبول العميق في المشاعر، والعلاقة الخاصة بيننا، أدي بنا يوما بعد يوم إلى أننا تحولنا إلى كائنات

منفصلة يجمعها سقف واحد و أطفال، أيام متشابهة وروتين قاتل وصمت ثقيل، ولكي اوضح لك صعوبة موقفي، فلك أن تعرفي أن زوجي رجل خلوق مسالم لا يعترض علي شيء مما أقول، ويترك لي الحرية كاملة في كل شيء، ولكنه في المقابل لا يشاركني في أي شيء فأنا من يختار كل شيء وأي شيء، كما أنه انضم لي ولأسرتي وكأنه أخ رابع لنا، وما زاد الطين بلة هو أن أمي لم تفتأ تكرر على مسامعنا جميعاً أنه شديد الشبه في تصرفاته بأبي وكأنه ابنه !!!

وها أنا يا سيدتي أعيش ما بين كفَّي الرحى، فزوجي هو مثال الخلق والوداعة والكرم، يحمل أجنحة الملائكة ومساوئ أبي، وليس بيننا علاقة زوجيه تُذكر فهل هذا يُسمن أو يغني من جوع؟!

مرت سنوات حياتي تترنح تعاني من شيزوفرنيا عجيبة، كما كنت أعتقد أنني فقط من أعاني منها، حتى كبر الأولاد وبدأت أكوّن صداقات

مع الأمهات، وبدأت أمارس تجمعات السيدات الأسبوعية المعتادة، ويا لهول ما اكتشفت سيدتي!!

إن هذه الشيزوفرنيا شائعه جداً في معظم البيوت!!! حتى أن وصفني البعض بأنني (مختلفة) لمجرد تعبيري عن ضيقي واستغرابي من هذا الوضع غير الطبيعي، فلا أنا زوجة ولا أنا آنسة ولا أنا مطلقة!! فلا أنا أملك علاقه زوجية صحيحة، ولا أنا أتمتع بشعور الآنسة، ولا أحظى بحرية المطلقة !!

ولقد زاد من اختلافي عن عموم الجماهير أن زوجي لا يطالب بحقوقه الزوجية، ومع ذلك نحن نقوم بوظائفنا كزوجين –كتماثيل زجاجية– وآباء أمام المجتمع بكل هدوء وتناغم، وكأننا ممثلان بارعان تدربا على هذا الدور منذ بدأ الخليقة، ولكننا سيدتي –والله على ما اقول شهيد –لم نكن نكذب أو نتجمل.

لقد كانت هذه هي الحقيقة فعلاً، فأنا مسؤولة عن المنزل بالكامل فزوجي يسلمني مرتبه كاملا، وينسحب في هدوء للعودة إلى صفوف أطفالي الصغار، وأنا من يقرر كل التفاصيل الصغير منها والكبير، المصيري منها والهامشي، نحن نقضي اجازتنا مع والدي واخواتي وأزواجهم وأولادهم، ونحن نقضي باقي العام في بيتنا حسب ما أضع من تعليمات صارمة يتبعها ويلتزم بها الجميع، إلا أن زوجي كان حاضراً معنا بالجسد فقط، أما الباقي فهو مع والديه، فهو منتمي لهم قلباً، مقيم لدينا قالباً في المنزل.

ولقد عشت علي هذا المنوال وحدي تمامًا، فلا أجرؤ علي الشكوى أو المطالبة بحقوقي الزوجية أو الآدمية في الحصول على شريك حياة فلو طالبت بهذا فأنا متمردة "هشوف قطران"، أو انا مختلفة منشقة أدعو إلى انقلاب أو ثورة!!

ولقد عاهدت نفسي يوم أن تركت منزل والدي الحبيب إلي بيت الزوجية أن لا أشبه أمي في شيء، وأن أُكوّن أسرتي الخاصة بي، و أن أحظى بسعادة وروابط أسرية حقيقية، وليس مجرد ألقاب أو صلات كاذبة، ولقد اتخذت موقف السائق الذي يعلم أن السير هو في اتجاه إجباري واحد، فلا يسمح بوجد خيارات، ولا يمكن العودة إلى حيث بدأت هذه هي قواعد المرور، ويجب الالتزام بها حفاظاً على سلامة ركاب السيارة، ولقد استسلمت لقدري، وواقعي، كما تعودت في طفولتي وأنشأت حياة خاصة بي لا يوجد بها إلا أولادي و أنا وصديقة مقربة أمارس في هذه الحياة أمومتي كما أحب وأستمتع حقيقة بما أفعل .

إلا إنني كنت دائماً ما أُحدث صديقتي عن مخاوفي من غدرات الزمان فلقد عودت نفسي على أن أنظر إلى نصف الكوب الممتلئ ولقد وجدت ما يكفي في هذا النصف وأحمدُ الله كثيراً عليه، لقد وجدت إنه سبحانه وتعالى أنعم عليَّ بالصحة والأبناء والزوج المسالم، والعديد

من النعم التي كثيراً لا نلحظ قيمتها الفعلية في عموم الأيام، إلا أن خوفي لم يتوقف أو يهدأ أبداً.

كنت دائما أسأل (سارة) صديقتي المقربة: "تفتكري يا ساره الضربة هتيجي منين؟؟"

فلقد جبلت يا سيدتي على أنني لا أستحق، نعم لا أستحق، فمن أنا؟ وما هي مقوماتي التي تؤهلني للحصول أي شيء؟

فلقد كررت والدتي على مسامعي في مواقف مختلفة أنني أكثر أطفالها قبحاً، وأننا جميعاً لا نُقارن بابنة خالتنا ولا نضاهيها في شيء، ثم أنني لست طبيبة ولا مهندسة، ومع ذلك أنعم عليَّ الكون بمهندس وسيم فماذا أريد أكثر من ذلك؟؟ ولابد من أن أدفع الثمن!!

"تفتكري يا ساره الضربة هتيجي منين؟؟؟"

***

هكذا مرت سنوات زواجي التسعة قبل أن أقابل الطبيب، وكأن الكون كان يعلم بمرضي ومعاناتي من هذا المرض المستتر الغامض، الذي يأكل الروح قبل والجسد، وأراد أن أبدأ عقدي الجديد صحيحة الروح و الجسد،متجددة المشاعر، ناضجة العقل، بما يتناسب مع عقدي الثالث من العمر، فبعثني للطبيب رغماً عني، ولأنني أحب المفاجآت، ولم أكن أعلم حتي هذه اللحظة أن الكون قد صمم في الأساس على هذا المنوال "وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ [1]" ، لم أدرك في وقتها أن هذه هي مفاجأة الكون لي!!! أو قل هي هديه كونيه بمناسبة عيد ميلادي الثلاثين.

أذن المؤذن معلناً أنه حان الآن موعد آذان الظهر، مما يعني أنه لم يعد أمامي الكثير من الوقت لأقضيه في المنزل، و إنه لزم عليَّ أن أسرع فيما أفعل، فلقد داهمني الوقت ووجب عليَّ الخروج سريعاً،

[1] سورة لقمان، آية ٣٤

حتي أستطيع أن أصطحب أطفالي من مدرستهم التي تبعد عن المنزل بوقت غير قصير، لإيصالهم الي النادي الرياضي، حيث موعد تدريب ابنتي الأسبوعي، وإني لأعلم جيداً بوجود الزحام في هذا الوقت من اليوم، حيث أنه موعد انصراف معظم المدارس وتتكدس الشوارع بالأطفال والمركبات المخصصة لنقلهم وتوصيلهم إلي منازلهم، وأن أكثر ما يضايقني ويضغط علي أعصابي هو أن أتأخر عن ميعاد اصطحاب الطفلين، أو تفويت أي تمارين خاصه بهم، فأنا أؤمن جيداً أن التمارين الرياضية –بالنسبة للإنسان بوجه عام وللأطفال خاصة– هي بنفس أهمية التحصيل العلمي والدراسة.

ارتديت ثوباً طويلاً زهرياً، له أكمام طويلة و حزام جلدي بني اللون، وانتعلت حذاء من الجلد، شتوياً ذا رقبة طويلة، بني ايضاً، وعقدت شعري للخلف بذيل حصان طويل، فهذه هي الطريقة المفضلة لي في تصفيف شعري، وضعت مفاتيحي ومحفظتي ومستلزمات أخرى

كمناديل معطرة وورقية، كأي أم تحتوي حقيبة يدها علي الكثير من هذه الأشياء وانطلقت مسرعة.

كان يوماً عادياً (أو هكذا بدا) منذ ما يقرب من خمسة عشر عاماً أو أكثر ولم ينتهِ حتى يومنا هذا.

نعم سيدتي هذا ما علمتني الحياة، قد تمر سنوات من عمر البشر بلا تغير يذكر، وقد تنقلب حياة الإنسان في دقائق معدودات وبدون أي سابق إنذار، دقائق قد تبدو أنها لا تعني أي شيء، وقد تكون هذه الدقائق هي كل شيء، دقائق وربما بضع ثوان كفيلة بأن تقلب مسار حياتك رأساً على عقب، فلا تعود أنت إلى نفسك السابقة التي لا يفصل بينها وبين نفسك الجديدة إلا بضع ثوانٍ، حتى إنك لتجد مشقة بالغة في تذكر نفسك الأولى، و يمكنك أن تُعرف هذا على أنه صُدفة، فالصدفة هي مصابيح تنير الطريق المفضي للمجهول، ولكن هيهات لقد "سَبَقَ السَّيْفُ العَذَل".

سقطت ابنتي الصغيرة التي كانت تبلغ من العمر في ذلك الوقت سبع سنوات أثناء التمرين، مما نتج عنه تمزق في أربطة ذراعها اليسرى، ولزم لها العلاج الطبيعي لعلاج هذا التمزق، ولقد رشح لي المدرب عيادة متخصصة لمعالجة هذا النوع من الإصابات لدى الاطفال، واصطحبت ابنتي على الفور للعيادة لا أحمل بداخلي إلا مشاعر الخوف والقلق والكثير من الأسئلة للطبيب.

ما هي إلا دقائق معدودات حتى سمحت لي الممرضة بالدخول لحجرة الكشف، حملت ابني الصغير ذو الخمس سنوات علي كتفي فلقد كان شديد الالتصاق بي،وأمسكت بذراع صغيرتي ودخلنا الحجرة البيضاء، طلب منها الطبيب الصعود علي سرير الكشف، فنظرت لي تتبين هل تطيع الأمر ؟ فابتسمت لها وحملتها هي الأخرى باليد الأخرى ووضعتها على السرير أمام الطبيب في حركه لا ارادية.

وفي هذه الأثناء التقط ابني الصغير أداة خشبية صغيرة تستخدم في الكشف علي حلق المرضي، ولم أنتبه له حين تناولها في يده، وبسرعة البرق وضعها في فِيِه الصغير، فإذا به يؤذي بها لثته فنزفت على الفور وما هي إلا لحظات حتى أجهش بالبكاء، ونظرت له متفحصةً إياه فلم أرَ إلا دماء تتساقط على جانبي فمه حتي تصل الي ذقنه الصغير ففزعت لمنظره وبدأت الدموع تتساقط من عيني بلا أي سيطرة مني وطفقت أقبِّل ابني وأحتضنه إلي صدري، أُقبِّل دماءَه بدموعي وجزعي وشعور مخيف بالذنب يتملكني وبأني أفقد السيطرة، فأنا الأم الفاشلة التي لا تستطيع حماية أطفالها الصغار، و إنني منهكه، وإن عقلي قد ذهب، وهذا عقاب الرب تصبّه السماء.

اقترب مني الطبيب في هدوء شديد، التقط الصغير مني، وبكل حنان ضمه إلى صدره كأنه صغيره هو، وربت على رأس ابنتي الممددة أمامه على السرير وناولني منديلاً ورقياً.

وقال لي في صوت هادئ رخيم حنون: "أنا خايف عليكِ أنتِ مش عليهم! هم كويسين متخافيش مش هيجري لهم حاجة، أنتِ اللي هيجري لك".

هل هذا هو يوم ولدت ويوم بُعثت حية؟؟؟

لقد بحثت في مفردات اللغة العربية وغيرها من اللغات لكي أجد الكلمات التي قد تصف مشاعري في هذه اللحظة ، أو وقع هذا الصوت الآتي من عالم مجهول عليَّ، وعلى مسامعي فلم أجد!!

هل يجوز أن تتواجد المشاعر ولا تتواجد الكلمات التي تصفها أو تعبر عنها؟؟؟

هل تكبر المشاعر للدرجة التي لا يمكن احتوائها أو وصفها؟؟؟

هل هذا يحدث في الدنيا أو يصادفه البشر؟؟؟

رفعت عيني لأتبين هذا الصوت العابر لقارات عقلي وقلبي واستيعابي وأولادي، لسنوات طفولتي وصباي وزواجي.

هو أسمر خمري، متوسط الطول، شعر خفيف في مقدمته، غليظ الشفتين، أذنان صغيرتان، وعينين عسليتين واسعتين.

لن أقول لك أنني رأيت (شادن) في هذه النظرة!! ولن أقول لك أن الزمن قد توقف، أو أن السلام ساد العالم أو أن الخير انتصر في معركته الأبدية على الشر، ولن أقول لك أن الجو كان في هذه اللحظة بديعاً والدنيا ربيع، لكنني سأقول لك أن شقوق روحي ترممت، وزالت تجاعيدي الدقيقة التي كانت قد ظهرت حول عيني

وامتلأ فراغ سحيق بداخلي بلون أرجواني بهيج، وتزركشت وجنتاي بورود استوائه نادرة الوجود.

طبعا لم أشعر بهذا كله وأنا أمامه في العيادة،لكن كان هذا حالي الذي دام حتى حان موعد الجلسة الثانية. فكما قال توفيق الحكيم في كتاب (عودة الروح): "إن أثر الصدمة لا يحس إلا بعد حدوثها بوقت".

ولكن قبل أن تستقر هذه المشاعر في خلفية يومي وظعني وتحركاتي توالت عليَّ موجات من السعادة والنشوة، فكنت أرقص على أطراف أصابعي، وأدندن النغمات، وأمعن النظر إلى نفسي وأطيل الوقوف أمام المرآه – فلقد اكتشفت أنني املك واحدة في غرفتي! –وامتنعت عن أكل الحلوى وعدت إلى المواظبة على ممارسة الرياضة وقمت بإعداد أشهى الوجبات،

أنا الآن أبلغ الثلاثين، ولم أعلم يوماً ماذا تعني كلمة انثى؟ كما إنني لم أشعر في حياتي بمثل هذه المشاعر من قبل!!

هكذا توالت زيارات العلاج الطبيعي الخاصة بابنتي ، في البداية كنت أذهب محمولة على أجنحة السعادة تسابقني خطواتي وتركض رغبتي

الشديدة في رؤيته، تدفعني بغير إرادة مني أو سيطرة إلي الغرفة البيضاء والعينين العسليتين، لكنني ما لبثت أن لاحظت أنني لا أحظي بهذه المشاعر وحدي، فقد فاقت مشاعره تجاهي حدود مخيلتي أو تصوراتي. بعد أن انهمرت الدموع من مقلتي في أثناء الزيارة الأولي، التفت لي بوجهه وجسده وبنظرة هي مزيج من رجولة صارخه وحنان يفيض، فلا أدري هل أنهار أمام هذه الرجولة للمطالبة بحقي في الحماية والسند أم أشفق علي هذا الشخص الذي فاض حنانه حتى أغرقني وغرق هو معي.

قال لي متبسماً متسائلاً: "هو حضرتك بتشتغلي ايه؟"

وخرجت إجابتي مني بلا تردد وبلا ذرة تفكير: "مامي، بشتغل مامي!!!"

فإذا به يزداد قرباً وحناناً، وابتسم ابتسامة يفيض منها إعجاب مخلوط بشفقة.

وقال بصوت مشجع ودود: "برافو، والله برافو، بس أنا عايز حضرتك تجمدي قلبك شويه."

ثم سألني باهتمام حقيقي: "هو حضرتك بتقضي الوقت ازاي الصبح بعد خروج الأولاد للمدرسة؟".

ولأن الحب يجعلنا بلهاء عندما نكون بجانب من نحب.

فلقد أجبته كالمعتوهة :" بطبخ !!!"

فما كان منه إلا أن نظر إليَّ نظرة رقيقة تحمل بداخلها ضحكة حبيسة كمن استمع إلي صغيرته وهي تروي له نكته صغيرة،بحجم قلبها وعقلها الصغيرين،وأدركت هذا بعد أن نطقت بكلماتي البلهاء، ولكن حيث لا ينفع الندم.

إلا أن نظراته لي أغرقتني بحنان لم اشعر به يومًا ما، وأنا أناهز الثلاثين من عمري، إلا أنني أمام هاتين العينين العسليتين الواسعتين فأنا لم أكمل إلا سنواتي الخمس.

تداركت موقفي معقبة كمن تنبه إلى أنه طبيب علاج طبيعي، وأنه من البديهي أن أختار أجابه تساعده على استكمال الحوار الذي يحاول أن يبدأه، وأن أبحث في عقلي المتوقف بحكم قانون جذب هذا الطبيب الأسمر لقلبي وعقلي،

فأردفت بثقة وهدوء شديدين قائلة: "ولكني أمارس الرياضة ثلاثة أيام في الأسبوع"

وقبل أن أكمل جملتي نظر لي وهو متوجه لي بجسده متسائلا: "طيب يعني عندك وقت تقرأي؟"

فأجبت فوراً بمزيد من الثقة والحزم مؤكده: " نعم عندي وقت، أنا أصلاً بحب القراءة."

فابتسم من جديد ابتسامته الساحرة وظهرت بجانب عينيه بعض التجاعيد التي دلت على أنه سعيد حقاً بإجابتي وبلا تصنع، ولقد زادته الابتسامة وما صاحبها من تجاعيد وسامة ورجولة.

وإذا به يمدد يده السمراء بهدوء وثبات إلى الرف المعلق بجانبه، واختار كتاباً بكل خفة وبلا تفكير، وهو مازال يحمل صغيري، وكأنما كان يعلم إني آتية وأن هذا السيناريو سوف يكون.

وقال لي بكل ود وحنان : "جربي تقري ده ، ولما تيجي المرة الجاية إن شاء الله تقولي لي رأيك فيه ."

أقف بجانبه بمشاعر طفلة ملتصقة بأبيها الذي يخاف عليها ، ويهيم بها عشقاً ، فهي مهما تقدم بها العمر تظل في مخيلة هذا الأب وقرارة نفسه أنها صغيرته التي أنجبها ، وهو دوماً ولا شعورياً يمارس دور الأبوة مهما طال العمر، فيخشى عليها حتى من نظرات البشر، ويترسخ في يقينه بلا أدنى شك أن ابنته هي أجمل ما أنعم الله عليه، وهي أفضل ما أنتج الكون . .

لقد كانت نظرة واحدة من هاتين العينين العسليتين الواسعتين كفيلتان بإغراقي في بحر هائج بمشاعر الحب والتقدير والامتنان لتدابير الخالق الرازق الذي قذف بي إلى حجرة الكشف في يوم يذكره ويؤرخه هو في ذاكرته، وما بين أضلعه على أنه يوم ولد ويوم بعث حياً.

هكذا مرت سيدتي أيامي وساعاتي التي أقضيها مع الطبيب ، وأنا الصامتة التي كانت تعد كلماتها خلال اليوم الواحد فلا تتعدي أصابع كفيَّ طفليها الصغيرين .

لقد حكي لي الطبيب كل ما مر عليه منذ أن أمتلك ذاكرة وحتي يوم مولده الجديد بجانبي .

استمرت جلسات العلاج الطبيعي لابنتي لما يقارب من ثلاثة أشهر ، كنت خلالها استمع له وهو يحكي لي عن رحلة كفاحه ، فهو الأخ الأكبر لأسرة مكونة من أمه و ثلاثة من الاخوة يصغرونه ، ولقد كان هو العائل الوحيد المسؤول عن هذه الأسرة – بعد أن تركهم الأب للزواج بأخري– بجانب والدته التي تعمل موظفة في أحد الدوائر الحكومية .

لقد حكي لي كيف مرت سنوات طفولته التي لم يحظى بأي وقت منها، فلقد اضطر للعمل دائماً حتى يستطيع مساعدة والدته في تدبر مصاريف الأسرة الكبيرة .

ولقد حكي لي كم من المواقف والطرائف التي محال أن ينساها بعد مرور كل هذا الوقت ، لأن هذه المواقف وإن كانت تبدو مضحكة

وساخرة في طريقة إلقائها ، إلا أن هذه المواقف هي ما كان له كبير الأثر على نفسه الغضة الصغيرة وهي ما جعلت منه الآن هذا الطبيب المشهور .

وكيف أنه تنقل من بين كل الوظائف من عامل في محطة بنزين ، إلي عامل في أحد الفنادق ،إلا أنه عشق الرياضة منذ طفولته ، وأن الله قد أنعم عليه بعد طول مشقة وتحمل بوظيفة مساعد مدرب في أحد الأندية الرياضية ، وأنه أمضى أجمل سنوات حياته بين الملاعب والمضارب والمسابقات الرياضية ، وأن أكثر ما كان يبهجه هو رائحة الفوز والانتصار لفريقه، وأنه لا شيء أسوء من مذاق الهزيمة.

إلا أنه بهذا الدافع الداخلي أو سميها عقدة الخوف من الفشل ، استمر هذا الطبيب في رحلة كفاحه الشاقة ، مستميتاً متحدياً صعوبات الحياة ومعطياتها القليلة في ذلك الوقت ، حتى أصبح ما هو عليه الآن فهو يعد من أنجح وأندر الأطباء في هذا التخصص تحديداً .

أما عني أنا فقد كنت أتحدث بلا توقف ، أحكي له عن طفولتي و أبي أمي ، ما أحببت و مما عانيت، كيف كنت صغيرة الحجم جداً و كيف كانت ذكريات طفولتي التي تجمعني بأبي ، أحكي عن أطفالي وكلماتهم المفككة التي تحتوي على الكثير من "الفرانكو آراب" ، بحكم المدارس الأجنبية التي يرتادونها واللغة التي نتحدث بها معهم في المنزل ، كنت أتحدث بلا توقف ولا ترتيب منطقي متسلسل في أحاديثي ، كنت أحكي عن مواقف جمعتني بأفراد عائلتي بأسمائهم ، كما لو كان هو فرداً منا ، وكان أكثر ما يأسرني أن الطبيب كان يستمع إلى حكاياتي بكل سعادة وشغف واهتمام ، ويحفظ الأسماء والتواريخ عن ظهر قلب ، كما لو أن ما أقول هو محتوى مادة علمية وجب عليه حفظها واستذكارها جيداً لكي يتجاوز الامتحان فيها .

إلا أن نظراته لي والتي كان يتابعني بها أثناء حديثي معه والتي كان يحاول جاهدا أن تبدو عاديه، أو إن جاز التعبير طبيعية، أغرقتني بحنان لم أشعر به يوماً ما وأنا أناهز الثلاثين من عمري، إلا أنني أمام هذين العينين فأنا الطفلة الصاخبة المفعمة بالنشاط المروية بحنان وإعجاب ابيها.

إلا أنني لم أستمر طويلا بهذا الحال، فاجتاح قلبي تسونامي الحزن من جديد، ولكنه كان أكثر تدميراً هذه المرة، لم أعد أستطيع تحمل المزيد، لن أعيش بلقب زوجة خائنة، لا زوجي يستحق ولا أستطيع أنا أن أفعل هذا من الأساس، إلا أن مشاعري تجاه رجل غير زوجي هي أيضا تعد خيانة حتى لو كانت مستترة.

إلا أنني قررت مدفوعة بشعور قوي أن الجأ لزوجي لأول مرة في حياتي لأشركه فيما يحدث لي في هذه الدنيا، فهو مكون أساسي في هذه الأحداث، كما أنه وجب عليَّ أن أفعل كما أفعل دائما في كل

ما يواجهني من مواقف أو مشكلات، فأنا دائما أحدد الأشخاص المؤثرة والمرتبطة بالحدث، وأحدد الأركان الرئيسية المكونة والمتسببة في هذا الحدث، ومن ثم أبدأ في تجميع الحلول المقترحة التي قد تتناسب مع الموقف، نستبعد الحلول غير الواقعية أو غير المناسبة تماماً حتى نصل إلى بر الأمان.

لقد مضى على بداية جلسات العلاج الطبيعي ما يزيد عن شهرين كاملين ولم يلحظ عليَّ زوجي أي تغير، ولم يعلق حتي ولو بكلمه، ولقد أصابني هذا بالذهول، ولقد زاد هذا من غضبي وحنقي عليه وعلى هذا الزواجي الواهي بيننا، فقررت أنه قد آن الأوان للتغيير الجذري والوقوف الجاد على حل هذا الموقف الشائك.

لذا صارحت زوجي أنه قد دخل إلى حياتي رجل، وإن مشاعر ما تسللت إلى قلبي تجاهه، وهذا إن دل علي شيء فإنه يدل على وجود خلل كبير في علاقتنا، وأننا في أَمَسّ الحاجة إلى أن نقف علي جذور

هذه المشكلة، وإنني حتى وإن كنت سأكمل له كزوجة مخلصة طاردة هذا الرجل والمشاعر من عقلي وقلبي إلى أن ضميري يأبي أن ينام و أن أتظاهر بأن شيئا لم يحدث، وأن أعطي ظهري لما مر بي كأن شيئا لم يكن، وأني أعتقد في قرارة نفسي أن هذا يعد صنفاً من صنوف الخيانة التي لا أرضها لنفسي أو لزوجي، فنحن متعلمان وعقلاء بالقدر الذي يجب معه أن نناقش المشكلات بشكل متحضر وأن نقف على أسباب المشكلة وسبل الحل .

لقد ترددت كثيراً فيما يجب أن أفعل، فأنا اشعر بكل هذه الزلازل والبراكين التي تقتحم كياني ومشاعري وتغير ماهيتي كلياً، فهي كالمحراث الذي يقلب التربة من أعماقها، فيساعدها على التخلص من ما هو ضار وغير نافع، فتصبح البذور الجديدة قادرة على أن تنمو في بيئة صحية وينتج عن هذا الحرث نباتاً قوياً خصباً ونضراً يسر العين والقلب معاً.

ولكن هل يشعر الطبيب بما أشعر أنا؟؟؟

هل يسري عليه قوانين الجذب كما سرت في مفاصلي وأحشائي؟

ماذا أريد؟ إلى أين أنا ذاهبه؟؟ إلى متي سيظل هذا الحلم الجميل مستمراً؟

فإن آجلاً أو عاجلاً ستنتهي جلسات العلاج الطبيعي المقررة لابنتي، فكيف المصير؟

لن أذهب مرة أخري للعيادة، فكيف سأراه؟ وبأي حجة حتي سأحادثه علي الهاتف؟ كما أنه لم يتفوه يوماً بما يفيد بوجود أي مشاعر ليَّ أو رغبة في الارتباط بي؟

أنا أعلم أن هناك شيء ما، بل أنا علي يقين من هذا، أنا لا أخدع نفسي ولا أتوهم وجود شيء بيننا، نعم لم يذكر لي شعوره تجاهي صراحة لكن كلماته المستترة الممزوجة بالمزاح كانت تنطق حباً وشغفاً،

حتى نظراته كانت تفيض رقة وعذوبة، فتربكني وأشعر بها تخترق كياني، أنا لست بواهمه، أنا متأكدة.

هل أنا متأكدة؟ وماذا إن كان هذا وهماً؟

هل أستطيع العودة لزوجي مرة أخرى مدعية ما بيني وبين ذاتي أن شيئاً لم يكن؟؟؟

هل بالفعل أستطيع أن أكمل ما كنت فيه؟ لو أني أعلم خاتمتي ما كنت احترت وتساءلت!!!!

لا ...هذا ليس صحيحا أبداً، ولا يمت للصحة من قريب أو بعيد، لا يمكن أن أعود حتى وإن كنت واهمه، لن أستطيع أن أكمل في هذه الحياة يوماً آخر مهما كان الثمن، لم أعد أنا، ولا طاقة لي بعد علي التصنع بأني أحتمل أو أني سعيدة راضيه بما لديَّ، بل انا أتعس مخلوقات هذا الكوكب فأنا أدرى الناس بما أنعم الله عليا من نعم لا

تعد ولا تحصي، و أنا لا أجحد هذه النعم وإنما هي الحقيقة أنا لست سعيدة .

فأنا بجسد وملامح امرأة وروحِ ميتة لا تعرف معنى الحياة .

حتى وإن كنت واهمه !! حتى وأن كنت سأحتفظ بالطبيب في قلبي وعقلي ما تبقي لي من أيام، فلن أستطيع في أن أكمل في دور الزوجة من جديد، فأنا الآن لا أصلح زوجة إلا لمن أحببت فقط وأنا راهبة تعيش في محراب هذا الحب الطاهر حتى يأتي الله بأمره.

نعم سيدتي هذه هي الحقيقة التي يجب علي الجميع استيعابها ومواجهتها والتعامل معها، لقد فاض بي الكيل، لم ولن أعود لِما كنت فيه، سأخبر زوجي بما حل بي، هذا حقه عليَّ وحقي لديه، فليعلم أنه رجل رائع ولكنه ليس لي، فليتحمل مسؤولية أفعاله ولو لمرة علي سبيل التغيير، لم ولن أخون فما شعرت به هو من أجمل ما حمل الكون من مشاعر، وما مررت به هو من أطهر ما يكون.

فأنا أحببت هذا الكيان بكل تفاصيله كمن وجد نسخة أخرى منه متمثلة في جسد آخر أو جنس أخر.

فليكن شعور الطبيب ما يكون. هذا شعوري أنا الذي يجب أن أعترف وأواجه به نفسي أولاً، ولكن لابد من أن يتعرف زوجي علي مجريات الأمور، ولقد عقدت العزم على إخباره بالحقيقة مهما كانت مرة، أو ليس لي الحق في ان يشاركني زوجي ولو لمره في العمر في ما يعترضني من مشكلات الحياة؟ حتى إن كانت المرة الأولي فعلى الأقل هي ربما الفرصة الأخيرة لنا،ولو تعلمي يا سيدتي أنني كنت في قرارة نفسي أرجو أن تكون هناك بارقة أمل في أن يصلح زوجي ما أفسده الزمن وأن يتصرف بما ينجي سفينتنا من الغرق في بحر الهوى،

وبالفعل طلبت منه أن أتحدث إليه في أمر جلل بعد أن ينام الأطفال وأنني أريد منه أن يحاول أن يستوعب وأن يتقبل ما أقول حتى نصل إلى بر النجاة .

لقد قلت لزوجي تحديداً: "لقد دخل أحد الأشخاص إلي حياتي، ولقد تحركت مشاعري تجاهه وإنه لا يعلم عن هذه المشاعر شيئاً، وإني أخبرك الآن لأنني لا أعرف كيف أكمل الطريق، وإنه وجب عليك أن تساعدني لاجتياز هذه الأزمة، فأنت تعلم ما بعلاقتنا من عطب منذ سنوات، وأن هذا نتاج للزرعة التي زرعناها من الأيام الأولى لزواجنا، و الآن حان وقت القطاف".

ولم يخطر ببالي لوهلة أن أُقابل بمثل هذا الغضب العارم، فما كان من زوجي إلا أن هاج وماج، ولقد تحول من المهندس المؤدب الوديع إلى آخر جاهل ثائر سليط اللسان،

ولقد انفجر في وجهي قائلا: " لي بدون أي تفكير أو تردد: " سألقي بك خارجاً، كما تلقي القمامة في الشوارع وليس لك أولاد".

لقد نسيت سيدتي أن أذكر لك أن علاقتي الخاصة بزوجي متوقفة منذ سنوات من قبل أن يدخل هذا الطبيب إلى حياتي أو أن أعلم حتى

أنه سيصادفني، فمنذ أن تزوجنا لاحظت أن زوجي لا يرغب فيَّ ، وأنه لا ينام بجواري ويكثر السهر، وبعد مرور سنوات لم أنتبه لها فاتحته ذات مره في هذا الأمر، وسألته عن ما يحب أو يريد مني أن أفعل لإسعاده، ولقد أجابني زوجي بمنتهي البراءة والبساطة أنه يتابع الأفلام الإباحية وأن هذا ما يسعده، وهو ما يختلف كثيراً عن سعادته معي، ثم أنني ترهلت بعد الحمل والإرضاع ولم أعد أثير في نفسه أي مشاعر وعلي أثر هذه الإجابة الصادمة توقفت عن إزعاجه برغباتي ، وواصلت الحياه مع أطفالي الأعزاء.

إلا أنه بعد أن هددني زوجي بذلك بدأت أدرك أنه وجب عليَّ الاختيار، فأما أن أحيا كما كنت أو أن أواجه العالم أجمع بما يحدث لي .

ذهبت لجلسة العلاج الأخيرة بعد هذه المناقشة الفاصلة في تاريخ زواجي الذي استمر ما يقرب من العشر سنوات، ولقد تبدلت أحوالي وبدوت كالمريضة بداء عضال منذ سنوات طوال.

فما إن رآني الطبيب بهذا الحال حتى بدا الهلع في عينيه العسليتين الطيبتين،حتي وكأنني شعرت بقلبه يعتصر في جوفه، يود لو يضمني إليه وينهي ما بي من أوجاع، نعم سيدتي هذا ما شعرت به، أنا لست بواهمه هذا الطبيب يحبني ويهيم بي عشقاً كما لم يحببني أحداً من قبل، فأنا كنت صغيرته وزوجته وصديقته، وفي كثير من الأحيان أمه، نعم سيدتي هذا هو الحب الذي أريد، هذه هي المشاعر التي افتقدها، فأنا عطشة لمثل هذه العلاقة، ولمثل هذا الصديق والحبيب والشريك في نفس الوقت .

ولأنني كنت دائماً حوله ومعه فاقدة القدرة علي السيطرة علي نفسي أو الإمساك بلجام كلماتي .،

خرجت مني كلماتي بلا أن تمر علي عقلي ، خرجت من قلبي المنشطر خرجت من أوجاعي ،خرجت من شقوقي ،خرجت من سنوات عمري الفائتة و أنوثتي الباهتة ، خرجت من أمومتي المهددة بالانقراض .

قلت بصوت مهترئ ممزق: "انا هطلَّق من زوجي، ولكنه هددني بأن يحرمني من أولادي، لا أعرف ماذا أفعل؟؟؟؟؟؟؟"

بهت الطبيب الحبيب، تحوّل وجهه الحنون إلي وجه أسود مذهول ومصدوم مكفهر، رافضاً أن يصدق ما سمعه مني، فزِع من كلماتي وتجهم أمامي وتجمدت مشاعره لي وبدا العبوس والغضب في ملامح وجهه الاسمر الحنون، ولم أفهم أو أتوقع سر هذا التحول المخيف المفاجئ!!!

ابتعد عني كمن لدغته حية، وسأل في ذهول "هو أنتِ لسه متجوزه؟" أنت لا تردين خاتم الزواج في أصبعك ولم يأتِ أبو الأولاد للعيادة ولا

مره على مدار ثلاثة أشهر؟ وأنت تتحدثين بلغة المفرد دائماً ...انا كنت فاكرك فاهمة وحاسة".

خرجت كلماته تقطر ألمًا بخيبة أمل، كمن تهدم أمامه أحلامه المستقبلية وطرق نجاته من موت محتوم، خرجت كلماته من عقله بعد أن كتب شهادة وفاة قلبه المكلوم.

قال لي بحزم شديد ممزوج بألم دفين يقطع أوصاله، وخرجت ألفاظه متهدجة: " أنا آسف جداً يا فندم، دي حاجه خاصه جداً بحضرتك وبزوج حضرتك، أنا فعلا مش هقدر أساعد حضرتك، كنت اتمني فعلاً صدقني، بس أنا أنصحك إنك تدخلي حد من أفراد أُسرتك وأُسرة زوجك، وإن شاء الرحمن كل الأمور تتحل على خير ان شاء الله". وفي ثوان ثقيلات غير اتجاه جسده فأصبحت لا أري إلا ظهره أمامي، وغابت عني عينيه الواسعتان.

ثم أردف بصوت يائس أنفاس مثقلة بالعجز: " و أهم حاجه من وجهة نظري لو سمحتي لي هي مصلحة الأولاد هما لسه صغيرين جداً وأعتقد أنهم محتاجين أمهم أكثر من أي شيء أخر .ربنا يعملك اللي فيه الخير دايماً وإن شاء الله نبقي نطمن عليكم "

وخرج مسرعاً من حجرتنا البيضاء تاركاً إياي في فراغ لا بداية له ولا نهاية.

انهارت الدنيا أمام عيني، وضاقت عليَّ الدنيا بما رحبت، أنا أعلم الناس بها الطبيب أنا أدري الناس بعمق هذا الجرح، هذه هي نهايتي بالنسبة له، نعم هو يكن لي كل أنواع الحب والهيام بمختلف مسمياته نعم هو يذوب في عشقاً، نعم أنا أعني له الحياة بشمسها وقمرها وهوائها وكائناتها ولكنني لست ملك له! انا ملك رجل آخر، وهو ملا يرضاه ولن يرضاه هذا الطبيب علي نفسه حتى وإن كنت أملك ماء المحاياة.

نعم سيدتي هذه هو الطبيب الذي أحببت.

تجمدت أوصالي وتحجرت الدموع في عيني، فأنا غير قادره حتي علي أن أعده بأنني أنوي أن أطلب الطلاق من زوجي و أن نكمل حياتنا معاً.

فأنا من ناحية لست متأكدة إن كنت على استعداد لأخذ هذه الخطوة بعد؟ فلا أملك الشجاعة الداخلية الكافية لمثل هذه المغامرة الغير محسوبة العواقب، فأطفالي مازالوا صغاراً على أن أجبرهم على خوض هذه المعركة الضارية لأجلي، ضاربة عرض الحائط بسلامهم النفسي، ومن ناحية أخري ليس طبيبي من نوعية الرجال الذين يقبلون على رجولتهم أن يسجل التاريخ أسماءهم في خانة من تسببوا في هدم بيوت الناس وخرابها تحت أي سبب من الأسباب حتى لو كان على حساب سعادة قلبه الأبدية.

وهكذا سيدتي عدت من جديد ككوكب هائم في الفراغ السحيق فلا أنا أري نور الشمس لأهتدي به، ولا أنا أرى ضوء القمر لأنعم بالسكينة والنعاس.

خرجت من حجرة الكشف البيضاء وكأنني كنت فيها من أهل الكهف فأنا الآن غريبة عن هذا العالم الخارجي الذي انفصلت عنه منذ أن اقتادتني الأقدار إلى هذا المعتكف، فأنا أشعر وكأن عمري كله أمضيته هنا في هذه الحجرة البيضاء الدافئة التي حفظت ذاكرتي كل إنش بها عن ظهر قلب، عاكفة راهبة عن العالم الخارجي، نعم لقد قضيت بها الأيام التي أذكر أنني كنت فيها حية بالمعنى الكلي و الحرفي للحياة لقد حوت هذه الغرفة جزءً لا يتجزأ من تفاصيل شخصيتي و كياني فهنا ضحكت و بكيت، هنا اكتشفت شغفي وحبي للقراءة، هذه الجدران البيضاء الناصعة الرحبة تحفظ حكاياتي عن أبي، وذكريات طفولتي، ولوني المفضل، ورائحتي وبصماتي .

وها أنا ذا أواجه هذا العالم الذي جهلته، لا أعلم عن عمد أو من غير إرادة، ولايعلم هذا العالم أيضاً بوجودي أو معاناتي، أواجهه بقلب ممزق ونفس مبعثره وذاكرة باهتة وروح متعبه، أنا خائرة القوى مهزومة، فكيف لي أن أعلن الحرب وأنا مجردة من أي أسلحة أدافع بها عن حبي.

كتب عليَّ أن أرفع راية الاستسلام دون أي مقاومه، لمنع اندلا ع الحرب المدمرة التي أوشكت، وحقناً لدماء الجميع .

***

بدأت أفقد شهيتي وشعري ، وظهرت عليَّ أعراض المرض ، ولاحظت خالتي التي كانت تسكن معي في نفس المدينة بعيداً عن العاصمة التي يسكنها أمي وأخوتي ، سألتني عن أحوال علاقتي بزوجي و اقترحت عليَّ أن أذهب إلي متخصصة في هذا الشأن ولم أكن أعلم في ذلك الوقت أن موافقتي هذه ستفتح عليا أبواب الجحيم، فلقد كانت هذه

المتخصصة هي صديقه خالتي التي حكت لها كل كلماتي وأسراري وما كانت إلا أيام معدودات حتي سرت الأخبار كما تسري النار في الهشيم ، فما كان من أختي الكبرى إلا أن اقترحت عليَّ زيارة طبيب نفسي ، وما لبثنا أن دخلنا إلي حجرة الطبيب النفسي حتي انطلقت أختي بكل ثقه وتأكيد و بلا تردد تعلن عن رأيها الشخصي في الموقف الراهن ،وأن زوجي رجل رائع بلا عيوب وأنني أنا المخطئة ، فأنا من وهبت نفسي لطفليَّ ونسيت أني زوجه،وهذا خطأي وحدي الذي لا يجوز أن ألقي بتبعاته علي عاتق زوجي الأن ، وتواصلت أختي الصغرى مع زوجي،معلنة أنها متبرئة مني وأنها لا صلة لها إلا به أو الأولاد.

يا ألهي.. كل شيء بقضاء وما بأيدينا خلقنا تعساء، إن هي إلا أفعالنا التي تجعل كل منا يمضي إلى غايته حتى إذا أنكر الأخ أخاه أصبحنا كالغرباء، صحيح "ليه يا زمان ماسبتناش ابرياء"؟!!

أليس لكل مقام مقال فما لكم كيف تحكمون؟!.

إلا أنني أسررت كل هذا في نفسي ولم أنبس ببنت شفه.

ما هذه القسوة؟ ما كل هذا العنف الكامن بالصدور؟ إنهم أخوتي أنا، هل يحق لهم ما فعلوه وما قالوه؟

هل أنا في موقف يسمح بإضافة المزيد من المعاناة والحيرة والجدل؟ هل حقا هذه هي فكرتهم عني وعن زواجي وعن ما آلت إليه الأحداث؟ هل يعانون من ما أعاني؟ هل يفهمون ما أمر به حقًّا؟

هل يستطيعون تحمل ما تحملته؟ هل يجوز لهم إصدار الحكم قبل المزاولة أو سماع آراء الشهود؟

هل يجب أن أحاسب وحدي لمجرد أنني اعترفت بأنني أحمل مشاعر لرجل أخر؟

و لو لم أعترف ؟ هل كان سيشفق عليَّ أحد؟

هل ما شعرت به تجاه الغريب هو الخطأ؟ أم الاعتراف هو الخطأ ؟ هل كان من الأفضل أن أنفصل اولاً في هدوء مؤدية دور الضحية ثم البدء مرة أخرى مدعية البراءة ؟

هل كان ضميري سيستريح وتستقيم بدايتي الجديدة؟!

إلا أن أبي قد نهر زوجي ووبَّخه على ماصلنا إليه.

قائلاً: "أنت الزوج، كان المفروض تكون أنت الأقرب وتعرف إن الأمور هتوصل للحد ده،" ثم أضاف أنه وجب الطلاق فلا عوده بعد هذه النقطة.

إلا أن موقف أبي الصادم والمفاجئ هذا تسبب لي في ذعر شديد، فلقد جاء معاكسًا لتوقّعي وغير مشابه بالمرة لموقف بقية الركب، مما يعني أنني بالفعل أصبحت في مفترق الطريق، وأني جديًا على وشك

أن أخرج من هذا الواقع بلا عودة، ولكن هل أنا على استعداد لهذا أو أن هذا فعلا ما اريد؟؟؟

انتابني شعور بالفزع حين تأكدت بأنه لا ملجأ لي سواي!!!

أحسست أنني أنشطر إلى أجزاء وجزيئات، كما يحدث للكواكب عند تصادمها مع بعضها البعض في الفضاء الخارجي الفسيح، نعم سيدتي فانا أحيا كوكب عالقا في الفضاء السرمدي الحالك لا يعلم وجوده أحد، إلا أن زوجي أيضاً هو كوكب يسبح في فضائه الساكن الهادئ هو الآخر، ولسبب كوني تصادمنا وتبعثرنا إلى جزيئات.

هل تصدقيني سيدتي إن قلت لك أن هذا كله أستطيع إنهائه أنا وحدي!!!

فلسوف أخرج الطبيب من ذاكرتي، وأعيد زوجي مرة أخرى الى الصورة الزائفة القديمة –وسيعود–، فزوجي شخص مسالم لا يتصور

الحياة بدون هذا التكوين المسمى بـ "أسرتنا "، وأمسك مرة أخري بمقاليد الحكم علي كوكبي المثالي المكون من زوج مثالي وزوجة مختلفة وأطفال رائعين ...

هذا ما كنت أواجه بكل صراحه وبدون أي مواربة، السؤال الحقيقي الفاصل الوحيد هو، هل أواجه المجهول عزلاء مجردة من أولادي ومباركة أهلي؟ أم أكمل الطريق مجردة من قلبي وعزلاء من مكونات الحياة؟؟؟؟

ماذا تفعلين سيدتي لو كنت مكاني؟؟ هل ستنشقين عن هذا الجمع وتعلنين الانقلاب على هذه الأمة؟

هل تتركين أطفالك وترحلين وتحاولي طمأنة نفسك بأن الأمور يوماً ما سوف تهدأ ويفهم الأطفال وتعود الأمور إلى مجاريها ؟ ويرضخ الجميع للأمر الواقع الجديد ؟ هل سيسامحني أولادي؟ أم سيلعنون

الزواج ويزدرون الأمومة؟ هل أنا متأكدة من وجود أرض الأحلام على الضفة الأخرى من هذا النهر؟

هل سأحقق الانتصار لنفسي وسعادتي وأحلامي أم أنها هزيمة ساحقة ومدوية لأطفالي؟

لقد تخيلت أنني كنت وحيده من قبل في هذا العالم الفسيح، لكني الآن أعلم علم اليقين ماهي الوحدة؟

وما هو السجن الانفرادي؟ فأنا الآن منبوذة من الجميع، ولا يجرؤ أحد على التعاطف معي أو الاقتراب مني أو مداواتي، فأنا مريضه بدآء التمرد، وهو وباء جديد لا دواء له إلا أن أوأد حية.

*****

من أنا؟ أنا حتى هذه اللحظة أبحث عن ذاتي ، فلقد تصوَّرت لبعض الوقت أن ما أريد حقاً هو الحب، هو العلاقة الحميمة، هو هذا الرابط

القوي الخفي الذي نسمع عنه في روايات الحب وقصص الخيال، وهو ما وصفه القرآن بالإفاضة والمودة والرحمة، كنت أبحث عن السعادة، كنت أسأل نفسي هل سيأتي عليَّ مثل هذا الصباح الذي أشعر فيه بالإثارة والرضا عندما أفتح عيني وأدرك أن هذا الصباح يعني يوما جديداً؟ فعلى ما أذكر قد مرت سنوات عمري كلها وأنا أشعر بالَضيق حتى قبل أن أدرك أنني استيقظت، وهو ما يعني إضافة يوم آخر يجب عليَّ فيه أن أقوم بما يجب أن افعله وليس ما أريد، يوم أخر أصمت في معظمه عدا بعض الجمل والعبارات بيني وبين أحد طفليَّ الحبيبين، يوم آخر لا يشاركني أحد فيما أفعل أو أشعر أو أريد، يوم أخر لا يعلم أحد ما مر فيه من أحداث وما فعلته هذه الأحداث بي.

هل يحق لي المطالبة بما أريد؟ هل يمكن أن يتحقق حلمي وأن أصحو بجانب من ابتسم لاستيعابي إني قضيت الليل بجانبه؟ وأنني سأقضي ما تبقى لي من ليالٍ بصحبته؟ هل يساوي تحقيق هذه الأمنيات أن

أضحي بعليّ وسلمي؟ هل سيستوعب الصغيران أني اخترت ترك هذا الأب الحنون لأسكن مع هذا الأسمر في بيته؟

ولِمَ ؟ ماذا دفعني لمثل هذا التصرف؟ هل سيتفهم الصغيران يوماً ما بعد أن يمر الزمان أن مطالبي مشروعة وأنني لا أستحق العقاب؟ هل سيصدقان أنني أحببتهما كما لم تحب أي أم أطفالها ؟؟ فلقد كان طفلاي هما كل عالمي، كانا الأصدقاء والأخوة والزوج والوالدين، فمنذ أن حضر طفليَّ إلي دنياي و أنا لا أشارك تفاصيل يومي إلا معهما، فهما من أضحك معهما أو هما من يضحكاني، هم من أنام بجوارهما و أستيقظ علي أنفاسهما الدافئة ، وهما من أقضي وقتي أتحدث معهما في تفاصيلهما الصغيرة ومجريات أمور حياتهما البريئة ، لم أكن أماً فقط ولم يكونا أولادي ، لأنهما هم عزوتي وذكرياتي ، بهما أحيا ولهم أستمر فيما أفعل.

***

استمرت هذه العاصفة الهوجاء تعصف بأيامي، وتهدد بتدمير ممتلكاتي، فبيت الأحلام الذي بنيته مع طبيبي في مخيلتي وأحلامي آن الأوان أن أقوم بإخلائه، وأن أرحل عنه تاركه ورائي مستقبلي الذي تمنيت وكل آمالي وتصوراتي ورغباتي، إما هذا، وإما أن أبقى في هذا البيت وحدي لمواجهة الرياح العاتية التي تقتلعني من جذوري ولا أعلم علم اليقين هل سأستطيع الصمود وحدي؟ هل سيرأف الطبيب بحالي ويرق قلبه لي ولوضعي وتضعف مقاومته؟ ويأتي لإنقاذي؟ أم هل سينتصر كبرياؤه على حبي ويكتب عليً أن أدفن حية لما بقي من أيام عمري تحت أنقاض أحلامي ذكرياتي؟

***

لقد أشفقت على هذه المختلفة الجميلة الصغيرة المعذبة، ولكنه إشفاق ممزوج بإعجاب، فهي تحتوي على كل الضعف الأنثوي الذي تحمله أرق أنثى في الوجود، إلا إنها تغلف هذا الضعف الكائن بأحشائها حتى النخاع بقوة وصلابة وعنفوان رجل مكتمل الرجولة، شجاعة

مخلوطة بحكمة وخوف مخلوط بجرأة، فلا تدري هل هي انثى حقا؟ أم هي روح محارب جسور مغامر تتخفي في جسد امرأة؟

كانت تتلو عليً حكايتها بصوت ثابت قوي، إلا في بعض اللحظات التي تذكر فيها الطبيب، فتخونها أحبالها الصوتية ولا تقوى على تمالك زمامها، فتهتز كلماتها وتخرج منها تخنقها الدموع التي تحبسها بين ضلوعها، وفي حلقها،فتظهردمعاتها كحبات ماس دقيقات مرصوصات بين أهداب عينيها، ولكنها وبكل شجاعة سرعان ما كانت تقوم بإزاحتها بكل لطف و شفقة وعطف على نفسها بأطراف أصابعها الصغيرة راسمة ابتسامة رقيقة وتنظر لي نظرة ترمقني بها ،كأنما تحذرني بها ألا أشفق عليها ، فهي تكره دور الضحية ، وهيهات أن يكون هذا مقصدها أو مرادها من سرد قصتها أو تفاصيل حكايتها.

***

أكملت الصغيرة كلماتها وقالت: "التضحية هي أن تختار أن تتخلي و بكل شجاعة عن الأشخاص أو الأشياء التي لها قيمة لا تعوض

لصالح الآخرين، وهي من صفات القادة، لقد قررت أن أكمل الطريق كقائد يذكره التاريخ بين طيات صفحاته، مذكورة في كتب الأبطال الذين يذكرهم التاريخ أنهم أحرزوا نجاحاً ساحقاً وانتصاراً لم يسبق له مثيل وأن انتصاراتهم قد غيرت وجه التاريخ، فالحروب هي مسألة حياة أو موت ، وهي بمثابة الطريق إلى بر الأمان أو الخراب، وإن من أسباب الانتصار في المعارك المصيرية أن بعرف القائد كيف يتعامل مع مختلف أشكال القوة وأن يختار معاركه بحكمة حتى لا يعرض جنوده للهلاك.

هكذا أكملت طريقي أنا بكامل قواي العقلية وبكامل إرادتي ..

لطالما كرهت دور الضحية، لطالما أعملت عقلي في حل مشكلاتي، ولطالما استخدمت قوتي وجميع معطيات الحياة لي لأتغلب على هجمات الزمن الغادر ومفاجآته.

نعم لقد كانت بالنسبة لي هذه هي الضربة القاضية التي ستهدم أسرتي وتهدم المعبد على من فيه، ولكني لست شمشون الجبار، أنا أم، بما تحمله الكلمة من مسؤولية، وروعة، وجمال لا يستطيع اللسان وصفه، ولا تعبر عنه الكلمات، ولكن تصفه الأيام والذكريات والنجاحات، وسنين العمر التي تكتب على شكل تجاعيد تحيط بالملامح التي عاصرت هذه الأحداث، وتقوم بتدوينها وترويها وتخلد تفاصيلها ألبومات الصور التي لن تتكرر ولن تعود.

عشت سيدتي أحتضن أحزاني وأوجاعي بين أضلعي فهي تكون فراغًا بداخل روحي، يوازي في حجمه ثقب الأوزون، فلا أعلم كيف السبيل إلى رتقه، أو مداواته، ولا أعلم كيف أشفى من انبعاثاته الموجعة بداخل روحي،

وحده الصمت قادر على مساعدتنا وتحفيزنا لأن نستمع بوضوح للأصوات الكامنة بداخلنا.

أنا "سييرا الصغيرة "في ذاكرة أبي، أنا المتمردة الناقمة الساخطة في اعتقاد أفراد عائلتي، أنا المختلفة في ذهن أصدقائي، أنا المترهلة في نظر زوجي، أنا الأم والسند والصديق في حياة أطفالي، أنا الحبيبة المسجونة في قلب الطبيب، أنا القوية الوحيدة بالنسبة ل "أنا".

وقوتي هي قوة خفية، أحملها بداخلي، تنمو معي بعدد الأيام التي عشت فيها وحيدة، لا يعلم عن يومها أحد، ولا يدرك حتى أقرب الأقربين لها بما تفعله الأيام بها، هي قوة داخلية خفية نشأت واشتدت قوتها بعدد المرات التي تمرنت على استخدامها وتعزيزها وتقويتها، وكما تعلمين سيدتي فالقوي الداخلية لدى الانسان هي أكبر بكثير من القوى الظاهرة.

لقد كتب على ثلاثتنا أنا والطبيب وزوجي أن نحيا ونحن نحمل على عاتقنا وبداخلنا مكونات العشق الممنوعِ، فلقد حرّمِ عليَّ الطبيب

وحرّمت أنا علي زوجي، وكتب على ثلاثتنا أن نحيا مكوّنين جمل و صفحات في قصص العشق وأساطير المحبين.

منذ خرجت من هذه الغرفة البيضاء المشحونة بذكرياتي وتفاصيلي، والتي كشفت عن مكنونات نفسي وما تحمل طيات روحي من قدرة على عشق أبدي لم أكن أعلم أن الله قد صممه خاصة وهيأه لي، بتفاصيل شديدة الأحكام بما يتوافق مع مقاييس قلبي وعقلي، ليتناسب مع حجم أحاسيسي وتفاصيل روحي وما تجهزه لي المقادير المستقبلية.

لقد كان بالنسبة لي يوم الفصل الأعظم في تاريخ زواجي الوهمي، فأنا أرفض وبشدة هذا التقارب المصطنع المفروض عليَّ بحكم الألقاب المسجلة على أوراق قديمة مطوية في أدراج الزمن البائد، هي بالنسبة لي أوراق مزورة لا تمت للحقيقة بصلة.

أرفض هذا الإجبار المهين لجسدي ومشاعري ومقدار إحساسي ودرجة سعادتي واستمتاعي وقربي من شخص آخر،

أرفض هذه الآلية والروتين في القيام المتكرر بأي عمل يمت للمشاعر بصلة،مهما حملت العلاقة من مسميات أو مطالب، فالمشاعر كالرائحة العطرة الذكية، وجب عليك أن تأخذ نفساً عميقاً متجدداً حتى تستطيع أن تستنشق الرائحة العطرة بشكل مستمر.

أرفض الرضوخ لآراء الآخرين في موضوعات محرم عليهم تماماً الإدلاء فيها بآرائهم، مهما كانت درجة قرابة هؤلاء الآخرين.

أرفض قبول الأحكام المسبقة وقوالب المجتمع الأصم الأجوف البعيد كل البعد عن فهم تعاليم الدين الحقيقية، ومبادئ الإنسانية البسيطة المتعلقة بالونس والود والصحبة والمحبة، مهما رفع هذا المجتمع من شعارات التدين أو التحضر أو تقبل الآخرين واختلافاتهم.

زواجي منذ البداية هو زواج باطل بكل مقاييس الدين والبشرية، إلا أنه حق في عرف المجتمعات السطحية الشكلية، وها أنا ذا أكمل زواج على ورق كتب منذ سنوات لا أعلمها ولا أريد أن أعي عددها، فهي تحمل تاريخ وفاة أشخاص مازالوا حتى يومنا هذا على ذمة الحياة في عالم افتراضي، يحملون ألقاباً وتوصيفات كتبت عليهم بحكم ما فرض عليهم الزمان والمكان ، وقوة جبر المجتمع، ما يجعلهم يمارسون طقوس الحياة وشعائرها دونما أدنى استشعار لجمال مذاقها، أو روعة الاستمتاع برونقها.

منذ ما يقرب من خمسة عشر عاماً فضلت أن أحيا راهبة في محراب أولادي، أصب عشقي عليهم ليرويهم ويرمم عظامهم الصغيرة، آمله من الله الواحد ان تقوي هذه القلوب الصغيرة ويشتد ساعدها حتى تصمد ضد هبّات الألم في هذا الزمان، ولقد عاهدت نفسي أن أربي طفليَّ الصغيرين على أصول الدين والإنسانية الحقه، والتي ترسي مفاهيم العدل والحرية وتقبّل الآخرين باختلافاتهم، والسماح لهم

بالتعبير عن خلجاتهم ومكنون صدورهم وما يجول في خواطرهم، وإننا لا ننصب أنفسنا حكاماً علي قلوب البشر واحتياجاتهم وتصرفاتهم. فهو محرم علينا بأمر الدين والإنسانية أن نصنف أو نطلق الأحكام والألقاب على بني البشر، فما نحن إلا بشر مثلهم، ما يفصل بيننا وبين الآخرين أن الله لم يقدّر لنا أن نمر بتجارب شبيهة لتجاربهم، لسبب لا يعلمه الا الله.

لن أمثل دور الضحية وأرتدي ثوب الأمومة شكلاً، وأحيا راضخة مستسلمة حبيسة بين جدران المجتمع المرسوم على ورق التصنع والأحكام المسبقة، والمبدع في إدارة التصنيفات وإطلاق المسميات.

أطلقت الآن أحكام الزواج العرفية بالقوة الجبرية ، و لينسحب الجميع إلى قواعدهم سالمين، ولتدعوني أعمل في صمت ، لقد احترم زوجي العزيز الطفل الكبير رغبتي في إكمال حياتي معه كأم فقط دون أن أؤدي دور الزوجة الموسمية كالسابق ، تحت أي سبب من الأسباب ،

ولقد كان هذا هو الطريق الوحيد من وجهة نظري حتى تستفيد كل الأطراف المعنية ، فأنا سأكمل أمومتي كما أحب وزوجي سيكمل حياته فرداً منضماً للأسرة في تناغم وسلاسة ، مؤدياً هو الآخر دور الأب ، وهو العامل المشترك الوحيد بيننا ، وسيظل أطفالي ينعمون ببيت هادئ مستقر يملأه الحب ، وسيحيا الآخرون جميعاً بروح النصر الأعظم الذي حققوه بعد أن أدلي كل بدلوه في قضية تمردي الفريدة من نوعها بحكم الآخرين .

وهكذا قررت أن أفاجئ الزمن الذي ألَّف لي مقادير حدوتي كأي حدوته في الدنيا، و أهداها لي في عيد ميلادي الثلاثين، وقررت أن أرد بكل ما أوتيت من قوة داخلية ورثتها من أجدادي ربما، ولكنني علي يقين تام بأنني شحذتها جيداً علي مدار الايام.

خبّأت قلبي في صدور أطفالي وبين أضلعهم الصغيرة، وجمعت مشاعري في ذاكرتهم واستودعت سنوات عمري الفائتة والقادمة في خلاياهم وأحلامهم، ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم.

كرَّست كل طاقتي ووقتي ومشاعري لهم، فكنت لهم الأب والأم والصاحب والمعلم، عشت أغرس حبي وإحساسي في سنوات عمرهم، انفصلت عن زوجي على الرغم من تشاركنا لنفس المنزل والجدران، جسداً وروحاً وفكراً، واختفت معي كل تفاصيل يومي وعدت أحيا وحيدة من جديد، ولكني هذه المرة وحيدة في ثوبها الجديد، لقد كنت في السابق وحيده تائهة لا يبارح نفسي وعقلي أسئلة كثيرة ليس لها إجابات، فأنا مترنحة بين شعوري بالفراغ والوحدة، ومشاعر الأنوثة التي لا تمارس ولا تطفو على السطح،

فهل أنا المخطئة المتمردة كما يدعي الآخرون؟؟ هل زوجي هو ملاك في هيئة بشرية– كما يصفونه؟

فهو في الحقيقة ليس بخيلاً عليَّ أو على اطفاله، وينفق علينا كل ما يصل إلى يده من قليل أو كثير، وهو أب حنون عطوف، لا يعلم شيئاً عن الأبوة غير ساعات اللعب مع الأطفال بكل براءة واندماج، وهو ابن بار جداً بوالديه، وهو صهر محترم ودود وصديق مخلص أمين.

هو كل شيء رائع إلا أنه لم يكن أبداً زوجي، أو رفيق دربي، أو شريك أيامي ومشاعري واحتياجاتي!!!

هو خفيف الظل لا ينتبه لي ولا لتفاصيلي أبداً ، هو باسم الوجه لا يأبه و لا يستمع ابداً لما أقول ، هو لين القلب لا يحمل مسؤولية أي قرار، ولا يدلي برأي في أي حدث يمر بنا كاسرة ، هو يحيا في هذه الدنيا و يتقن الحياة السهلة البدائية ، فهو يذهب للعمل يومياً مهما كانت مساوئ العمل ، فلا يعترض أو يفكر في تغيير الوظيفة أو تطوير نفسه أو المطالبة بحقوقه في الترقية على الرغم من استحقاقه لها ، ويعود من العمل لا يفكر إلا في تمضية الوقت مع الأولاد وأخذ قسط

من الراحة أثناء نوم الظهيرة ، على أن نقضي كل إجازاتنا بالقرب من والدتي وأخواتي وأزواجهم وأطفالهم ، وهو لا يمانع أبداً في أن نقضي سنوات عمرنا جميعها على هذا المنوال دون أي تغيير أو حتى نية في التغيير .

وأنا على النقيض تماماً ، فحبي للتغير وأحلامي في كل مجالات الحياة تمنو معي يوماً بيوم و ليلة بليلة ، فلا أكل أو أمل في التفكير في مستقبلي أنا وأولادي وكيف لنا استغلال كل مواردنا المادية ، أو الصحية أو النفسية التي أنعم الله بها علينا لتحسين وضع أسرتنا والتقدم بخطوات دائمة للأمام سواء علي المستوي المادي أو الفكري فكل ما أملك من نقود أنفقها على تمارين أطفالي ، وكورسات اللغة التي أريد أن يتقن أطفالي منها قدر ما يستطيعون، أريد أن أقتحم العالم الخارجي و أجوب البحار وأري إبداع الله في خلقه، وأشهد مختلف الثقافات وأنواع البشر .

ما هو الصواب ومن فينا المخطئ؟

هل أنا متمردة طامحة غير قانعة ولا راضية؟؟

هل زوجي بدائي محدود الطموح، راض بالوضع الراهن غير راغب في المزيد؟

هل إثباتي لصحة آرائي ووجهات نظري ورغباتي المختلفات ينتج عنه بالتبعية اثبات خطا زوجي؟

وهل في المقابل اختيار صف الزوج والإذعان بأنه رجل صالح يرضى بالمكتوب، لا يعلم سبيل أو أهمية التغيير والتطوير، هو ما يدل على أنني ابتليت بمرض التمرد، وأن جزائي هو السجن الانفرادي بداخل طموحاتي وعقلي شخصيتي؟

من فينا المخطئ في حق من؟

من فينا الملام؟

من فينا الصالح؟

من فينا المقصّر؟ من فينا السعيد؟؟؟

عشنا أماً وأباً لا زوجين، عشنا نحرس حدود المنزل الإسمنتي الكائن ببناية سكنية في أحد أحياء الإسكندرية الساحرة، نحمل عنواناً لمسكننا ويحمل كل منا قلبه في جوفه يقطر عذاباً ووحدة، ليسبب ألماً متواصلاً بعدد الأيام والأعياد والتجمعات العائلية التي تمر عليَّ وعلي أسرتي الصغيرة، نقوم بدور الزوجين المثاليين اللذين مرت بهم عاصفه رعديه، سرعان ما انقشعت عن حياتهم التي سادها الهدوء من جديد –بفضل تدخل الاخرين بالطبع.

حتي أنه ليهيأ لك أحياناً أننا زوجين حقيقين،فنحن نقيم حفلات أعياد الميلاد لأطفالنا، ونسافر إلي الفنادق المختلفة في الأعياد، ونتجمع في حفلات الزفاف، غير أن هذا هو الوجه الأخر للقمر، ومالا يعلمه الآخرون هو أننا نعود في المساء، بعد أن تنطفئ كاميرات مراقبة

الاخرين إلي كواليس حياتنا الحقيقية السرية، أغراب تحت سقف واحد فلا نتبادل التعليقات ووجهات النظر عن الأحداث أو الأشخاص الذين كنا بصحبتهم من ساعات قليله ، فنحن الآن نمارس حريتنا في انفصالنا عن أدوار كتب علينا أن نقوم بتشخيصها وإتقانها قدر استطاعتنا، حتي نحمي أنفسنا وأطفالنا من تصنيفات المجتمع وأحكامه.

ولقد كان لهذا التوقيت حكمة إلهيه لا محاله، فكل ما حدث لي وواجهته في رحلتي دفعني دفعا إلى طريق واحد محدد، مفاده أن أستكشف ذاتي وأبحث عما يسعدني حقاً وما أريد، من أنا؟ ما الذي يسعدني؟ ما الشيء الذي أتقنه حقاً ولا يتقنه غيري بنفس مستوي الاحترافية والشغف؟ ما الذي أريد أن أقضي يومي به دون كلل أو ملل؟ ما الذي يضفي عليَّ الشعور بالرضا وهدوء النفس والطمأنينة؟ ما الذي يجعلني أشعر أنني أغذي روحي وطموحي ورغبتي المتجددة دائماً في التغيير والتحسين والإضافة، ما الذي يملأ فراغ وقتي وروحي؟ كيف أضفي بصمتي على مجتمع أرفض معظم أفكاره وأغلبية

معتقداته؟ كيف أنجح؟ كيف أسعد؟أو أتسبب في سعادة إنسان؟ ماهي الخطوات التي وجب عليَّ اتباعها،لأستغل كل معطياتي في الوصول لأهدافي وتحقيق طموحاتي؟ فلقد كان دائماً في خلفيتي الرسول – علية والسلام – حين قال: **"لا تزولُ قَدَمَا عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن أربعٍ عَن عُمُرِه فيما أفناهُ وعن جسدِهِ فيما أبلاهُ وعن عِلمِهِ ماذا عَمِلَ فيهِ وعن مالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وفيما أنفقَهُ"**.

إلا أنني كنت أرتعد خوفاً، وأفقد كل قدرتي على التركيز عندما أقف أمامه مستوعبة حقاً لهذه الأسئلة الربانية الوجودية ؟ ماهي إجاباتي؟ هل إجاباتي هي الإجابات الصحيحة ؟ هل بذلت الوقت والمجهود الكافي للحصول على هذه الإجابات؟ هل أضعت جهداً أو وقتاً فيما لا يفيد؟ هل أتذكر الأسئلة باستمرار وأسعي لتقديم الإجابات التي سأضعها في خانه الإجابة في يوم امتحاني؟ هل النتيجة التي سأحصل عليا ستكون كافيه للنجاح والتزحزح عن الهاوية والوصل الي بر الأمان؟

لقد كان هذا دائما شغلي الشاغل، أو ربما إن هذا هو جزء لا يتجزأ من تركيبتي النفسية وحقيقة شخصيتي ، فكما تلاحظين سيدتي أنا لا أكف أو اهدأ أو أمل عن طرح الأسئلة ، ثم المزيد من الأسئلة المنبثقة عن الأسئلة ، وهكذا أدور في حلقات مفرغه بلا طائل !! إلا أنني قررت التوقف عن هذه العادة السيئة والمضي قدماً في طريقي الذي شققته بنفسي، مستخدمة فيه طاقتي وقوتي الداخلية وخبراتي وأوجاع الماضي.

انكببت على الدراسة والقراءة والتعلم في شتي المجالات، كنت أقرأ وأبحث وأتعلم من كل ما يصل إلي يدي أو يقع في طريقي أو تلمحه عيني. إلا أنني اكتشفت بعد وقت غير قليل وبتوفيق من الرحمن– عز وجل– أنني أملك القدرة على العطاء ونشر الإيجابية وأكثر ما يضفي السعادة على يومي هو أن أكون السبب في ابتسامة ترسم على شفتيّ بشر مهما كان سنه أو نوعه، وأن أكثر ما يساعدني على الطيران في سماء البهجة والإنجاز هي دعوات من القلب يدعوا بها لي من أسعدني

الحظ بلقائهم او محادثتهم ،"ربنا يسعدك ، ربنا يكرمك ، ربنا يريح قلبك زي ما ساعدتني ".

هذه العبارات يا سيدتي كانت هي ما كان يفتح مغاليق روحي المتعبة، ويلملم شتات نفسي الحائرة، ويرسم ابتسامه علي الرغم مني علي ملامح وجعي الساكنة، كنت أشعر أن هذه الدعوات المبعوثة من الله علي غير موعد ولا ترتيب هي رسائل الإله لي، كمصابيح تضيئ عتمة طريقي، وتقشع ظلام حيرتي، وتجيب تساؤلاتي العالقة في وجداني، هذه الكلمات البسيطة الصادقة هي يد الرب تربت علي كتفي المثقل بالوحدة والرغبة في الوصول لحقيقتي ؟

من أنا؟ هو أنا كده صح؟

هو أنا كده ربنا راضي عني؟ ولا زعلان مني؟

هو أنا اللي غلطانة؟ ولا أنا اللي مغلوط في حقي؟

وفي خلال رحلة بحثي، واستكشافي، وانطلاقي من الشك إلي اليقين وجدت الإجابات، وجدت كل ما كنت أبحث عنه، وجدت ذاتي، وسعادتي، انتبهت لنقاط قوتي وضعفي، عرفت ميزاتي وعيوب شخصي، عرفت مسؤوليتي وحقوقي وواجباتي، يا لسعادتي، كم أنا محظوظة محبوبة من الإله الكريم!

نعم هذا أنا وهذا ما أحب، هذه هي قوتي الحقيقية هذا ما خُلقت من أجله؟

هذه رسالتي التي بعثت في الأرض كي أنشرها لتصل إلي كل البشر.

نعم هذا هو الدور الواجب عليا القيام به علي أكمل وجه، نعم هذا شغفي نعم هذا طريق سعادتي وبصمتي في دنيا المخلوقات.

هذا ما سأقضي فيه وقتي وصحتي وعلمي ورزقي أنا الأن على بداية طريق جديد، هذا الطريق تم شقه وتمهيده وتعبيده بترتيب كوني

وحكمه إلهيه بحته، لو لم أمر بأوجاعي، وأحزاني، لما كنت أنا أنا، لو لم يكن ما كان؟ لوكنت أعلم خاتمتي لكنت بدأت من زمن بعيد، ولكن الله هو من يختار الأقدار،والأوقات، والتراتيب، والخطوات، والأسوار، وأساليب المساعدة، هو من يضع الاختبار، وهو من يساعدك على الاستذكار، ثم هو سبحانه من يلهمك الإجابات، هو الله هو الإله الأعظم فسبحان الله عما يصفون.

في البداية كنت أقوم بتدريس الأطفال الصغار الذين يواجهون صعوبات في التعلم ،كنت أدرس القادرين، وغير القادرين كل علي حسب سعته ، إلا أنها كانت البداية الموفقة فقط..

فلقد ذاع صيتي بين الطلاب، وذاعت قدراتي بين أولياء الأمور، فأصبحت كالعلامة التجارية ، عندما يذكر اسمي يقترن ببعض الألفاظ ك " ربنا يكرمها، دي ممتازة، دي موهوبة، دي كل الولاد بيحبوها وبيسمعوا كلامها ، دي ربنا بعتهالنا، .... " والكثير

مما كان يجعلني أمارس هوايتي في رقص الباليه بيني وبين نفسي، وعلى أنغام ابتسامتي وخطوات نجاحي.

ادخرت كل الأموال التي استطعت ، وقمت في البداية بتأجير فيلا متوسطة الحجم في حي راقي من أحياء الإسكندرية بمبلغ معقول ، وحوَّلت هذا المكان إلي أرض الأحلام لكل من يدخله أو يتعامل معه.

لقد حوَّلت طموحاتي وشغفي وكل ما أحب وكل ما تمنيت إلي أرض الواقع.

تخيلته أولًا بيني وبين نفسي ، إلا أن استطعت تحقيقه إلي واقع مجرد ثلاثي الأبعاد .

هو مركز للأيتام وأطفال الشوارع واللقطاء وغيرهم ممن يحملون الألقاب والتصنيفات رغماً عنهم ودون إرادة منهم أو رغبة لهم في

هذا ، هم أطفال كُتب عليهم أن يمثلوا أدوار لم يختاروها ويدورون في حلقات مفرغة بلا نهاية، ولا أمل قريب حتى في النجاة.

هم مجرد أطفال يبحثون ومع كل أسف، سيظلون يبحثون في أنفسهم عن إجابات لأسئلتهم المشروعة،لكن هيهات أن يتكرم المجتمع اللاهي عنهم ، ويقوم بإعطائها لهم، مهما حاولوا أو بذلوا من مجهود للحصول عليها .

هم أطفال صغار وُهبوا الحياة بلا حول لهم ولا قوه ، ولكننا سنسأل عنهم في يوم ستشخص فيه الأبصار،وتبلغ القلوب الحناجر،ولربما ليس أسئلة مباشرة، ولكن هم جزء أساسي في منهج الحياة سيأثر على درجات تخرجنا من مدرسة الدنيا الي عالم الآخرة.

بيتي الجديد ، الذي شهد بدايات نجاحي وهدايتي إلي هويتي وكينونتي، هو فيلا مكونه من ثلاث طوابق متوسطة الاتساع ، بمقاييس الهندسة والعمارة،ولكنها في الداخل تسع الدنيا بكل عذاباتها وأوجعاها،

ومقدرة البشر اللانهائية علي الحب والتعاطف والإنسانية، هي بالنسبة لي و لقاطنيها الأرض وما رحبت، هي فيلا جميلة تصطبغ كل جدرانها الداخلية والخارجية باللون الأبيض العاجي المريح للأعين والأنفس، وتحوي أثاث غير كثير، مريح بلون الخشب الفاتح، إلا إنني اخترت اللون الأرجواني المبهج لأنه أولًا لوني المفضل، ثم لأنني قرأت في يوم ما أثناء قراءتي المتعددة في مختلف العلوم ومنها علم الألوان وتأثيرها علي البشر، واكتشفت أن هذا اللون المبهج يجمع بين أعلي درجات الهدوء، المتمثل في اللون الأزرق، وأعلي درجات الطاقة ، التي يمثلها اللون الأحمر، كما أن اللون الأرجواني يستخدم لتصوير الأقوياء والقادة ، ويسمح لنا بالاتصال بأعمق أفكارنا، ولكل ما سبق فقد فترشت بيتي الجديد بهذا اللون في كل ما يتعلق باللوحات المعلقة على الحائط ،أو ملابس العاملين فيها ،والديكورات البسيطة المزينة للمكان حتى أن أقلامي وأوراقي وأدواتي المكتبية اكتست بهذا اللون المحبب إلي قلبي.

عشت أعواماً تتلوها أعوام ،لا أعلم عددها،بدت كلها متشابهة، كنت أبحث فيها عن الونس، ولكن عبثاً ، ألست أنا من يؤمن إيماناً عميقاً بأننا نختلف عن بعضنا البعض كاختلاف بصمات أصابع الكف الواحد، وأنه لا يوجد في الكون على اتساعه من يمكن له أن يحل محل أخر أو يؤدي دور غيره أو يملأ فراغه. ثم إن الغياب هو تعريف نسبي، يغيب البعض وهم حاضرون في أذهاننا ووجداننا.

مر علي خروجي من حجره الطبيب علي ما أذكر ما يزيد عن خمسة عشر عاما، ولكن روحي مازالت عالقة هناك لم تفارق هذه الجدران البيضاء، أذكر جيداً كل شيء،كما لو أنني ما أزال أداوم علي الذهاب،محفور في ذاكرتي هذا الصوت العذب الرخيم ، والملامح السمراء الضاحكة، ولا عجب في هذه الذاكرة القوية، فلقد اعتدت عن دون قصد منذ أن قابلت هذا الطبيب علي أن أقضي يومي وكأنه قصه سأرويها لطبيبي عند اللقاء،أو و كأنه يراني و يري خباياي وكواليس يومي في بلورته السحرية،فمنذ الصباح الباكر وحتي موعد

النوم أجتهد في كل سكون وحركه،حتي تصبح تفاصلي كلها علي أكمل وجهه قدر المستطاع،فأنا اؤدي كل شيء بشغف ونشاط شديدين ، ولقد استمرت معي هذه العادة كجزء لا يتجزأ مني علي الرغم من انقطاعي عن الطبيب ، وعلي الرغم من الفراق لكل هذه السنوات، وها أنا ذا حتي يومينا هذا اذهب في كل صباح إلي أطفالي في مسكنهم الدافئ، الذي يضم هؤلاء المختلفين، وكأن الطبيب مازال يراني ويتابع تفاصيل يومي، ويملأني الحنين واليقين، و كأنه سيشاركني في هذه الأحداث والتفاصيل اليومية بابتسامته الحنون العريضة، يثني عليَّ فيما أفعل، ويقوم بإضافة آراء متجددة بنَّاءه، ويشفق علي قلبي الصغير المثقل بأحزان هؤلاء الاطفال، وخوفي من المستقبل المجهول وآراء الآخرين التي تتوعدهم وتتربص بمصائرهم الشائكة ، نعم أستطيع تخمين تعليقاته ووجهات نظره ، نعم مازلت واثقة من طريقته في تقبل الأمور والتعاطي مع الأحداث والمشاعر، مازلت أشعر بقلبه القوي ينبض بحبي ، مازلت أعرف ماذا أعني له ،

نعم مازال يذكرني كما أذكره ، نعم مازال هو وقود روحي و أيامي .

نعم مازال هو رغم البعاد رفيق دربي ..

****

اكتبي قصتي يا سيدتي حتى تنتبه الأمهات ويفيق الأزواج، اكتبي يا سيدتي حتى يعلم كل مسؤوليته التي سيحاسب عليها امام الله العادل.

لقد خلقنا في هذه الحياة حتى يؤدي كل منا دوره الذي اختصنا به سبحانه وتعالي ، فهو وحده خلقنا كبصمات الأصابع لا تتشابه حتى لو انتمينا لنفس الكف، ولايصلح أن نتبادل الأدوار.

ولطالما ما كرهت دور الضحية ولا أعتقد أنى أجيد تجسيد هذا الدور ابداً،فلقد كنت مقاتله على طول الخط،حتى اصبحت أيقونة الاختلاف في محيطي، ولطالما برعت في دور القيادة والإمساك بزمام الأمور.

لقد عاهدت نفسي وقطعت وعداً غليظاً لها، أنه سوف يأتي اليوم الذي أحيا فيه كما أريد ، أنا فقط، دون أن التفت لآراء الآخرين ، أو وجهات نظرهم، أو أن أرضخ مرة أخري لأحكامهم ،أو أن تؤثر في قراراتي نظراتهم، فأنا أحيا علي الأمل وبالأمل، وليس الأمل هذه المرة متعلق بالطبيب، أو بالعودة بالزمن مره أخري، فأنا بعد مرور كل هذه الأعوام توقفت عن البحث عن السعادة في الارتباط بالآخرين، أو في انتظار الونس من أي بشر مهما كان، فمن سخريه الأقدار وأنا التي دائماً كنت أبحث عن الشريك، وجدت الشريك في المكان الوحيد الذي لم يخطر في بالي يوما، لقد وجدت الصحبة والأمان في داخلي أنا،فأنا صديقة نفسي، وأنا ملجا أنا،أنا الونيس أنا أعلم الناس بي، أنا من أشفق عليَّ، وأنا من أعرف نقاط ضعفي ومراكز قوتي، أنا من أعرف جيدًا قيمتي الحقيقة، وأنا من يعلم جيداً مقدار الحب الذي أريد وأستحق، أنا من يملك أدوات سعادتي وشقائي أنا من مد يد العون لذاتي المتعبة، وأنا من مسح دموعي وأنا من ربت كتفي حين

ساءت الأحوال، وأنا من انتفض من تحت الرماد وبدأ من جديد ضد اتجاه الريح.

إن المعرفة تولد من رحم الجهل، وإن القوة تولد من رحم الضعف، وإن الاختلاف يولد من رحم الرتابة، كما إن الثورة لتولد من رحم الأحزان ....

نعم سيدتي، هذا ما استخلصته من رحلتي التي أستطيع الأن أن أصفها وبكل ثقة بالشيقة ، نعم رحلتي كانت ومازالت شيقة، ومختلفة، وملهمه لكل من حولي، كنت أعتبر دوماً أن الاختلاف، أو أن أوصف "بالمختلفة" ، هو نوع من العيوب التي نحملها وتلتصق بنا مهما حاولنا الخلاص، ولكني بعد مرور الزمن أفخر وأعترف أنني مختلفة تمامًا وكلياً عن من هم في مثل سني أو ممن ينتمون لطبقتي الاجتماعية ،

فمعظم السيدات في زمني ممن سلمهم المجتمع كتالوج الحياة وأقنعهم بأن الخروج عن هذا الكتالوج هو خروج صريح عن النص، مما يعرضهم ويعرض عائلاتهم للمساءلة القانونية من "جمعية الاخرون المتحدة" !!!

ولكن هذا ما بود المجتمع أن يقنعنا به و يرسخه في أذهاننا، وهو ما يغاير الواقع، فالمجتمع مليء بالرائعات،المتجددات،المختلفات، ولكنهن للأسف خائفات، قلقات من ألقاب وتوصيفات حفرت في تاريخ أذهانهن بأنها وصمات عار أو خانات محرم علينا أن نكتب فيها أسماءَنا

الحقيقة سيدتي أن النساء من هم في مثل سني أقنعهم المجتمع أن المطالبة بأي من حقوقهن هو ذنب لا يمكن غفرانه، ويحق لنا كمجتمع أن يتفرق دمك بين آراء الآخرين، فأنت عندما تقدمين علي توقع وثيقة زواجك في يوم لا ينسي، ووسط مباركات من الجميع، أنت توافقين ضمنياً علي أن تُسلب منك كل حقوقك الإنسانية ، فأنت

بوظيفة زوجة عليها كل واجبات ومتطلبات الوظيفة، بداية من تحملك لطلبات الزوج ورغباته، أو المعاملة السيئة من أهله، وأحيانًا أيضاً أقاربه، كما أن عليك الاهتمام بمظهرك "دون المساس بمصروف البيت"، وأنت أم بمشاعر أمومة فقط، فلا يحق لك التعبير عن حاجتك للمشاعر كأنثى، ولا سمح الله أن تتجاوزي حدود وظيفتك لتجاهري بالمطالبة بهذه الحقوق -ثكلتك أمك!

وبالحديث عن أمهاتنا هم للأسف الشديد يشكلن جزءاً كبيراً من "جمعية الآخرون المتحدة"، لنا الله.

***

الحقيقة سيدتي أنه يوجد الكثير من السيدات العاملات التي تُسرق منهم أيام أعمارهم، بكل قسوة وأنانية مُطلقة، فالمجتمع مصمم علي تقسيمناوتصنيفنا إلى فئات عمرية وشرائح معينة،حسب ما يراه ويزرعه

في عقولنا الباطنة فيصبح هذا التقسيم هو الأقرب لديانة جديدة، على الكل اعتناقها، وإلا أصبح كافراً يقام عليه حد المتمردين!!

فالسيدة في العشرينات لها وظيفة أساسية، ووظائف أخري فرعية ليس لها قيمة فعلية، إنما هو من باب الحشو، فالوظيفة الأولي والأساسية هي أن تكون محط انظار الجميع من السيدات الأكبر سناً، حتي يقع عليها اختيار إحداهن ، وتراها مناسبه لسيد الموقف، أو رب العمل –العريس المحتمل –، ثم تتدرج في وظيفتها حتي تصبح أماً لطفلين علي الأقل، وهو ما ينبئ بخروجها الهادئ بالتبعية الي سن المعاش ،حيث تنتقل لوظيفه حارس العقار، فهي تحرس البيت وتراقب تحركات الجميع، وتعمل في مناوبات مختلفة، لحفظ الأمن والاستقرار داخل حدود المنزل.

ومن رأيي أن الزواج والإنجاب وتأسيس أسرة سليمة هي أعظم الأدوار التي تؤديها الأنثى في الحياة، وأن هذا ما يتفق مع فطرتها النقية

وهو مالا أعترض عليه بل علي العكس، أرجو من كل قلبي أن تهنأ كل أنثي في عيشها مع من تحب، وأن ينعم الله علي الجميع بالذرية الصالحة ،وأن الذرية صلاحها من صلاح الأسرة بلا أدني شك .

ولكن مالا أفهمه ولا أجد له أساس في أصول الدين أو الإنسانية، ماذا لو اختلف التوقيت؟ فلم أجد الزوج المناسب لي في الفترة المخصصة لهذه المهمة من قبل المجتمع؟؟

لماذا يجب عليَّ فوراً وبدون أي إرادة مني أن أحصل على لقب وتوصيف يضعني في خانة المختلفين، أو أصحاب الظواهر الكونية الغير متكررة؟! لماذا يبعدني هذا التصنيف عن صديقاتي المتزوجات رويداً رويداً، ولماذا يسبب هذا اللقب الذي لم اسعَ للحصول عليه الحرج لأمي وأبي في التجمعات العائلية؟! ولماذا تشفق عليَّ أحيانا أو ترمقني بنظرات غير مريحه أحياناً أخري صديقات والدتي وأحياناً تشترك والدتي ايضاً في هذه النظرات ؟؟؟

وتأتي مرحلة أخري من التعجب والحيرة، فإذا ما تزوجت الفتاة ولم تنجب... فيعتبر هذا نوع من عيوب التصنيع، ووجب علينا الوقوف العلني، لكتابة التقارير اللازمة عن أسباب العطل وسبل الحل

وأحياناً تكاليفه وفي الأغلب التهديد والوعيد بإصلاح هذا العيب بارتكاب مجزرة آدمية نضحّي فيها بأحد الزوجين للفوز بطفل محتمل ونشرع في ارتكاب زواج آخر، غير معلوم حتى الآن أين ومتي ستظهر عيوب تصنيعه؟!!

لي صديقتان تحيا إحداهما بجسدها في بيت زوجها، ولا تدب فيها الروح إلا في وجودنا، أنا وصديقتنا الثالثة،وهي منفصلة عن زوجها منذ سنوات لا يعلم عددها إلا الخالق ،إلا إنها تتحمل الإهانة من زوجها–على الرغم من حصوله على العديد من الشهادات العلمية– لأنه تمت خطبة ابنتها لزميل لها في الجامعة، وعلى الرغم من معاصرة أهل صديقتي،وعلم أخوتها بالإهانة التي تتعرض لها صديقتي وهي

تناهز الخمسين من العمر،إلا أنها لا تقوي علي ترك عش الزوجية حتى لا تتسبب في تشويه صوره العائلة، المفترض أنها متماسكة وسعيدة أمام العريس واهله!!!

ولكي أقرب لك الصورة وأحاول توضيح مقصدي لك ،لك أن تتخذي من هذا المشهد العديد من الألقاب والتوصيفات التي لا تمت لأصحابها بأي صله، فنحن في هذا المشهد الساخر المتكون من:

-صديقتي: هي زوجة مزورة، لا تؤدي كل واجبات الزوجة ولا تحصل على أي من حقوقها، تسعي لتزويج ابنتها من رجل لا تجزم الأم بمناسبته لابنتها، إلا عن طريق مجموعه من الألقاب التي تؤدي إلي هذا التأكيد.

-الزوج: الذي لا يعرف شيئاً عن المودة أو الرحمة تجاه أم أولاده ورفيقة دربه إن صح التعبير، فلا يشارك أهل البيت أي معلومات متعلقة به، ولا يحافظ حتى علي شعرية معاوية بينه وبين أهل بيته.

-الشابة الصغيرة: ابنة صديقتي العروس المستقبلية، التي تحيا في جو موبوء بين أم لا تتوقف عن ذكر مساوئ الأب وأفعاله التي لا ترتقي للأبوة،والأب الذي لا يجسد إلا أسوء الأمثلة للزوج،الذي يهين زوجته بعد هذه العشرة وهذا العمر!

فكيف يا تري ستنجح هذه الزيجة الجديدة وقد نشأت الزوجة الصغيرة في جو لا يمت للفكرة الصحيحة عن الزواج بأي صله؟

وهل ستأمن الشابة الصغيرة للزوج؟ وهي تشهد ما تؤول الأمور إليه بعد مرور العمر وتلاشي حلاوة البدايات؟ هل ستبدأ معركة جديدة في ذاتها تثبت وتأكد فيها أنها مختلفة عن زيجة والدتها؟ وهل إن دب الخلاف بينها وبين زوجها يوماً ما سيتحتم عليها التكملة في هذه الزيجة الزائفة لصالح ابنة جديدة تقوم بتكملة باقي حلقات المسلسل التراجيدي الكاذب الذي بدأ منذ سنوات وعقود؟؟؟

–العريس: هذا الشاب الواعد، المُفترض أنه اختار الزوجة المستقبلية بمشاعر أكيده، ونظرة متفتحة لزوجة المستقبل، ماذا يعنيه في إذا كانت أم زوجته مطلقة؟ أو مازالت على ذمه زوجها؟ لماذا يتوجب على الأبناء أن يحملوا ألقاب آبائهم وتبعاتها في مشاريعهم الجديدة؟

أي عقل هذا وأي شباب الذي يختار البدايات بناءً على الماضي أو نهايات الآخرين واختياراتهم؟ وهل استمرار زواج والدي شريك حياتي مؤشر على حياتي المستقبلية؟ لماذا يتم تقييم العروسة الجديدة من قبل أهل العريس علي الألقاب التي يحملها والداها؟وأين هو تقييم العروسة في حد ذاتها؟ وهل يجوز الأخذ بتقييم الآخرين؟؟؟

***

لي صديقة هي بالفعل شخص مميز بكل تعريفات التميز و مجالاته علي المستوي الإنساني ،إلا أنها قد مرت بتجربة زواج أولي، و هي صغيرة السن لمده قصيرة، عانت فيها الأمرين، إلي أن وافق الزوج

علي أطلاق سراحها بعد أن جرَّدها من كل حقوقها الزوجية، وبعد أن مضي جزء من العُمر و تدرجت في وظيفتها ضغط عليها الأهل لترضخ لخوض التجربة للمرة الثانية، ولأن من تحمل لقبها وتوصيفها في مجتمعنا عن ذنب لم تساهم في اقترافه، يصبح الاختيار في أفعال القائمة السوداء مما أدي إلي أنها مازالت حتي يومنا هذا تسدد كفالة الإفراج عنها من قبضة زوج لزوجٍ آخر يستبيح مرتبها بالكامل، وعلي الرغم من نجاحها المبهر و تميزها في وظيفتها والمكانة التي تستحقها وحققتها بمجهودها علي مدار كل هذه السنوات، إلا أنها لا تقوي علي طلب الطلاق، فالزوج الحالي يهدد ويتوعد بأن يلفق لها التهم ويزج بها في السجن، غير أن هذا الموقف المذهل ليس هو ما يخيفها، بقدر ما يخيفها أن تحمل اللقب للمرة الثانية!!! وهو ما سيؤدي إلى وفاه والدها الحبيب الذي تخشي على حياته الثمينة من لقبها.

إن كل ما ذكرته سابقاً عن هذه الأسرة التي يتشابه في تكوينه وتركيبه مع العديد والعديد من الأُسر المحيطة بنا دون أن نعلم أو أن يساورنا

الشك في وجودها حولنا، فهذه الأُسر جميعها تتجمع في المناسبات وتظهر في الصور بابتسامات عريضة ومشاعر هاربة من قبور أرواح أصحابها التعساء ذوي الألقاب.

لماذا وجب على الأم أن تحيا في بيتها ما تبقي لها من عمر، تؤدي خدمات التضحية فقط، يحرم عليها أن تجاهر بعدم سعادتها، ورغبتها في تغيير اللقب، مع الاحتفاظ بالود والاحترام؟؟؟ لماذا تحاسب الأم إذا ما عبَّرت عن شعورها، أو اتخذت موقف تجاه التغيير، فتعتبر أنانية أو متمردة أو جانية علي سعادة الأسرة؟ وما هو تعريف الأسرة في هذه الحالة؟

تتناقص المشاعر الصادقة من عالمنا بشكل مرعب، فتصبح أقرب الي الطاقة الغير متجدده!! فالتعبير عن المشاعر الآن هو إما زيف خالص أو ضعف يأكل في مفاصل صاحبه ،فأنت عندما تعبر عن مشاعرك فيقوم المجتمع بإلصاقك بواحدة من التوصيفات فأنت إما متسلق،

متملق، تسعي إلي شيء، أو أنت ضعيف الشخصية تستجدي العطف من المحيطين، أنت أي شيء إلا أن تكون إنسان عادي وجد الشعور بداخله وقرر ببساطة التعبير عنه بصوت مسموع أو طريقة شرعية، هذا هو حكم المجتمع الفاضل الآن علي من يعبر عن مشاعره، هذا هو الواقع الأليم بكل صراحه وبدون أي مواربة،فمن يحمل قلباً نابضاً بالمشاعر، وقوة تجعله قادراً علي التعبير عن هذه المشاعر هو كائن فضائي وجب دراسته، فهو قيد الدراسة من المحيطين حتي نجد الدواء المناسب لمثل حالته أو وجب علينا عزله حتي تتم السيطرة علي فضائيته، فيتحول البشر شيئاً فشيئاً إلي آلات مؤدية أدوار محددة يتقنونها، فهم يقومون بتمثيلها مراراً وتكراراً، فلا حاجة لهم الآن في تغير ما أتقنوه علي مر الأيام أو مراجعته، حتي لو أن هذه الأدوار تؤدي إلا انتهاك حقوق أقرب الأقربين لهم .

أصبحت الحياة كجدول عملاق مسطور في أحد الدفاتر في مصلحة حكومية عملاقة تعاني من بيروقراطية مرهقة شديدة البشاعة،وأصبح

أفراد المجتمع مجموعة من الأسماء التي تحتل خانات هذا الجدول الضيق الذي يتسع فقط أسماء البشر،دون وجود أي مساحة أوخانه لمشاعرهم أو احتياجاتهم الإنسانية المشروعة.

فهو جدول ثابت الخانات منذ بدأ الخليقة ،ولربما حتي يرث الله الارض ومن عليها ،فلا يحتمل هذا الجدول ولا يحتوي علي خانات للاختلاف أو استيعاب أي جديد أو حديث، يحتوي هذا الجدول فقط بعض الخانات المتفق عليها والجامدة، وعلي من يذكر اسمه في هذه الخانات أن يبحث عن الحياة في حدودها فقط دون التفكير أو لا سمح الله المساس بحواشي هذه الخانات،ولك أن تشكر الظروف من صميم قلبك ودعوات أمك في فجر يوم ولادتك لأنك اصبحت مذكوراً في أحد هذه الخانات المرضي عنها،فأنت بهذا كالمحظية في قصر السلطان،فهذه الخانات تمنحك ألقاباً تسمح لك بالمرور الآمن بين أعمدة الجدول في نفس الصفحة من الجدول.

أما إذا كنت –لا سمح الله– قد قدر لك تمردك واختلافك أن تحتل أحد هذه الخانات الأخرى التي تحمل ألقاباً وتوصيفات تجعلك– والعياذ بالله –خارج عن التصنيف. فطريقك مسدود مسدود يا ولدي..

فأنت في هذا الجدول مسيَّر محدد بالخانة والصفحة التي وجدت نفسك مذكوراً بها، ولا أنصحك بتاتاً بمحاولة الخروج عن الخانة أو الصفحة المذكورة إلا إذا لم تمانع في أن يكتب اسمك في صفحات المجانين أو المنشقين، وإذا ما حاولت لسبب أو لآخر أو حَكم عليك الزمان بهذا الخروج ،فأنصحك أن تتقن السباحة ضد التيار والقيادة في عكس اتجاه السير.

لقد كان نصيبي في الحياة أن أحب وأن أختبر المشاعر الجياشة التي تهز النفس البشرية من أعمق جذورها وحتى أطرافها،وبالرغم من اختلافنا أو اتفاقنا على ما مررت به في حياتي من حيث التعاطف

معي أو الهجوم عليَّ، إلا أنني أشكر الله كثيراً على اختياره لي، منذ أن كنت طفلة وحتى اليوم الذي جمعني بك حتى أحكي لك قصتي.

فلقد حوَّلت كل مشاعري وطاقتي لنوع آخر من الحب، فلقد وظفت كل ما أملك من مشاعر للتعاطف مع الجنس البشري وتقبل كل اختلافاته ، حتي أنني أصبحت أشفق أكثر من ذي قبل على أصحاب القوالب الثابتة والعقول المحدودة ،فهم على ما يبدو يعانون أكثر مني على عكس مما كنت أعتقد أو ألاحظ، فهم أناس مسجونة داخل اختيارات ليست من صنعهم، ومشاعر علي ما يبدو ليست من اختيارهم، فهم مضطرون في أغلب الظن على السير في طرق إجبارية، فهم لم يجرؤا على التجربة ولم ينلهم حتى شرف المحاولة، فأي عذاب أكثر من هذا؟

***

لست أنا المسجونة في حب الطبيب ، ولا أنا من أقف علي ذكريات الماضي أبكي الأطلال، على العكس تماماً، أنا من عبّرت عن

مشاعرها، أنا من حصلت على حرية جسدي من قهر الأداء المزيف لدور الزوجة،أنا من اخترت الأمومة عن كل إرادة حرة مطلقة، واستمتاع كامل لا يرضخ لأي مفروضات أو مُسلّمَات،أنا من سبحت في تيارات عدة تتمتع بطعم مختلف عن النهر الذي يشرب منه الآخرون،أنا من مارست الباليه في كل أيام حياتي دون الحاجة للمحافظة علي وزن معين أو ثابت،أو ارتداء زي خاص،أنا من امتلكت رفاهية الإختلافوالاختيار، أنا من سلطت الأضواء الكاشفة علي رائعات ساكنات خائفات مختلفات، لا يملكن الجرأة الكافية علي مواجه الآخرين بأبسط حقوقهم الإنسانية في المودة والرحمة والونس، أنا الصوت القادم من بيوت الكثيرين الذين ينتمون لألقاب يحملونها وخانات تمثلهم دون ممارسة صلاحيتها أو الإستمتاع بها، أنا من قاد وفاز في الحرب ضد ما اختاره الآخرون لي .

وها أنا ذا أقوم بالمبادرة حتي يعلم المجتمع الجامد محدود الرؤية، الجاف من مشاعر المودة والرحمة ،الجاهل بأصول الدين وأساسيات الإنسانية ما جناه علي سيدة مثلي وعلي الكثير من هم علي شاكلتي ،ومن هم في مثل سنّي ووضعي، فلقد أنعم الله عليَّ بنعمة الاستقلال المادي، والمشروع الذي استطعت فيه أن أعيد بناء نفسي واكتشاف ذاتي الحقيقة والاستمتاع التام بما اخترت أن أزرِع في سنوات عمري، وها أنا أحصده اليوم بكل فخر واعتزاز وفرحه عارمة متجددة كل صباح، فأنا لم أكن أحلم إلا بإقامة أسرة كبيره سعيدة أتلافي فيها أخطاء الماضي وتثبت لنفسها أن فاقد الشيء هو أقدر الناس علي أن يعطيه بأحسن صورة وعلي أكمل وجهه.

وها أنا بالفعل استطعت –بفضل الله – أن أقوم بتأسيس أسرة من أكبر الأُسر التي عرفت في تاريخ البشرية جمعاء، فأسرتي تتكون من خمسمائة طفل وطفلة من الأطفال المختلفين الرائعين المميزين، أحيا معهم وبهم، أبثهم عطفي وحناني واهتمامي ،وأنهل من ضحكاتهم

البريئة وأحضانهم التي أغوص فيها وتتحلل فيها ذرات كياني، ويروي حبهم عظامي فيمدني بطاقه متجددة فأنا لا أتوقف عن بث الطاقة الإيجابية ،ونشر الود والرحمة والتسامح والعطاء أينما ذهبت، فَغِذاء الأرواح البشرية هو الحب الصادق الغير مشروط بتصنيفات أو ألقاب.

إن البشر يملكون طاقات كامنة بداخلهم ،لا يعلمون مقدارها لأنهم غارقون في تصنيفات الآخرين، ولو يعلم أو ينتبه البشر إلي أن ما يفجر طاقاتهم الرائعة الجبارة هو أن تسمد نفسونا الحب والتقبل من بعضنا البعض، هذا هو بالفعل ما نحتاجه فقط ولا شيء آخر حتي يخرج من كل منا جمالاً وإبداعاً يحتوي بصماتنا المختلفة ،فنصبح كقوس قزح لكل منا لون خاص به، وطاقه تعكسها روحه هو فقط، ونغمة فريدة يتقنها هو وحده دون الآخرين .

نعم حُرمت من حب الطبيب، ومشاعر المشاركة في رحلة الحياة، ولكن الله عوّضني عن الطبيب الواحد بأطباء في جميع التخصصات، فالأطفال هم أعظم أطباء وهم أكفأ معلمين، فهم من شاركوني رحلتي الشيقة، وهم من وقفوا بجانبي في كل صغيرة وكبيرة، وهم من أغرقوني بحنانهم وآراءهم الصغيرة المبدعة،وهم من ربتوا على كتفي المثقل بالهموم والأحزان،وهم من مسحوا دمعاتي،واستقبلوا ضحكاتي بابتساماتهم الصادقة النقية.

أكاد أجزم لك سيدتي، فأنا أعلم علم اليقين أن هناك عدداً هائلاً من السيدات اللاتي يعانين مثلما أعاني وأكثر على اختلاف شخصياتهن، بل إن عدداً ليس بالقليل يشغلن مناصب مرموقة ويؤدين أدوار رائعة في مختلف أشكال الحياة، ولكنهن يحيين بروحِ الزومبي، فهم في الأغلب جسد بلا روحِ، وأحياناً أخري أرواح ساخطة متبرمة تدعو خالقها أن يزيح عنها الثقل القابع على روحها، والمتمثل في لقب(زوج)، وهي

أحياناً مثلي تحارب في الظلام، لا يعلم بمعركتها أحد حتى لو كانوا الأشقاء أو الآباء.

ولا أرجو من الله –عز وجل – إلا أن تنعم كل مخلوقات الله بالسعادة والسلام الداخلي ،الذي قدّر لي الله الوصول له بعد رحلة تبدو طويلة استخدمت فيها سنواتي الأربعين أو ما يزيد .

فأنا أناشد من صميم قلبي، وبعدد أيام عمري التي خلت من الشريك والونس، أناشد كل أم تربني ابنها الصغير اليوم الزوج لاحقاً، علي أن الزوجة هي العدو الاكبر للزوج العزيز ،وروابطه الأسرية مع أمه وأبيه وإخوته، فلقد ذكر القرآن صاحبته وبنيه بعد الأم والأب مباشرة مما يعني أن الزوجة تنتمي لنفس الجبهة وليس لجبهة العدو .

ولكل أُم توجّه عناية ولدها العزيز إلي أن الرجولة هي أن أرسم خطاً فاصلاً أو حائط عزل بيني وبين زوجته لإرضائك عزيزتي الأم، فولدك العزيز رجل في نظرك أنت فقط سيدتي، ولن ولم يكن رجلاً في نظر

زوجته، فلو أن هذا الجزء من الرجولة يكفيك أو يكفيه فهنيئاً لكما رجولته المنقوصة.

هذه سيدتي هي قصتي وقصة الكثيرات التي لربما لا يجرؤ أحد علي المواجهة او البوح بها، أو لربما يعتقد البعض أنها قصته هو وحده، وأن الجميع سعداء ينعمون بالروابط الأسرية القوية التي لا يشوبها شائبه، ويحيا الجميع ينعم بالتناغم بلا وجود صراعات أو تحديات تحديداً في هذا الموضع الحساس الشائك الذي يعاني منه الكثير، وهو الموضوع الأكثر طرحاً للمناقشة في تجمعات الكثير من السيدات في مجتمعنا الآن، إن المعاناة الصامتة ينتج عنها تشوهات في مناطق مختلفة في المجتمع المزدحم بالألقاب والتصنيفات، ويقوم هذا المجتمع المخادع بدور المدَّعي البراءة في الاستغراب والاستنكار عن ظهور هذه التشوهات مدعيًّا جهله بأسبابها وبراءة إخوة يوسف من دمه .

ولكني يا سيدتي لن أستطيع أن أصيغ قصتي تلك بكل تفاصيلها وأحداثها، فلم يهبني الله مَلكة الكتابة، فهل لك أن تروي أحداث قصتي وتسردي حكايتي أنا وكل من يشبهني من أبناء جنسي من الرائعات الخائفات المختلفات، بكلماتك المنتقيات.. فهلا ساعدتِنا؟!

تمَّتْ

إن هذه هي روايتي الأولي ولا أدرى.. فلربما تكون الأخيرة، هذا ما ستقررونه أنتم أعزاءي القراء، هل أعجبكم ما قرأتموه؟ هل عثرتم على أي أوجه تشابه بين أنفسكم وأي من أبطال هذه الرواية؟ هل يسكن في أيام حاضركم أو ماضيكم ما وجدتموه قريباً مما قرأتم من مشاعر أو أحداث؟ هل سمعتم من أقاربكم أو أصدقائكم عما يشابهه هذه الرواية؟؟؟ هل استغرقتم في الاحداث؟؟؟ هل توقعتم النهاية؟؟؟ هل رسمتم ملامح الأبطال في مخيلاتكم؟؟؟ هل تعاطفتم مع الأبطال؟ أو تقمصتم شخصياتهم؟؟؟ مع من تعاطفتم؟؟؟ هل كان لكم حكم محدد تجاه الأحداث أم سلمتم بالأمر الواقع؟؟ هل تريدون معرفه المزيد عن.. حواديت اخري من الدنيا؟؟؟